

The Scientific Institute for Advanced Training and Studies

JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE SPECIALIZED RESEARCH

VOL, 1 NO, 1. 2015

e-ISSN: 2289-8468

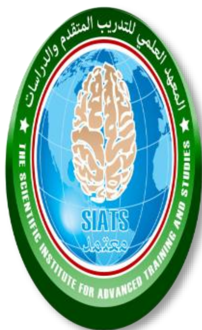
==============================

Contact us

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Assoc. Prof. Dr. Solehah Yaacob **Editor in Chief:** dr.solehah@siats.co.uk

http:// jaslr.siats.co.uk/



SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد1 ، العدد 1، 2015

e-ISSN: 2289-8468

2015

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية تصدر عن المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)، تعنى بنشر البحوث المتخصصة بعلوم اللغة العربية وآدابها، من النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي والأًصوات والألسنيات الحديثة واللهجات والخط العربي والتعريب والدراسات الأدبية والنقدية والأسلوبية.

مجلة السر نافذة بحثية أمام العلماء والأساتذة وطلبة العلم لرفد المكتبة العربية بمزيد من البحوث الرصينة والدراسات الجادة للكشف عن سر وأسرار هذه اللغة التي أصبحت وما تزال معجزة قائمة بغيرها متمثلة بالنص القرآني الذي لا يعلى نص عليه بأي لغة من اللغات، فالجهود البحثية في علوم اللغة العربية وآدابها والكشف عن جمالياتها قديماً وحديثاً ما هي إلا محاولات لكشف سر هذه اللغة وكنهها، لاقتناع اللغويين والأدباء قبل غيرهم بسبب وأسباب اختيار خالق اللغات جميعها لتكون العربية هي اللسان الخاتم لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولكتابه المعجز الخالد إلى يوم القيامة.



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

الاستلام: 2012/10/2 القبول: 2012/12/1 النشر: 2013/1/15

KUFYUN AND OPTICS: A METHODOLOGY FOR MEASUREMENT AND HEARING ISSUES: AN ANALYTICAL QUR'ANIC STUDY

الكوفيون والبصريون: المنهج المُتَبَادَلُ في قضايا القياس والسَّماع: دراسة قرآنية تحليلية

صالحة حاج يعقوب

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ماليزيا

Solehah71@gmail.com

ملخص

أشارت الصراعات بين المدارس النحوية التقليدية العربية أن خلاف المنهج الفكري قد وقعت في تعديل نظام قواعد اللغة العربية. على سبيل المثال أن مدرسة البصرة استخدمت منهج الفلسفة والمنطق في تحليل ونقد وتعديل واستبدال النظام في قواعد اللغة العربية. خلافا ذلك، وأما مدرسة الكوفة فأكثرها تركيز على قراءة القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر العربي وهي من المصادر المرتبطة بشيء غير متوقع أو مختلف ما يحدث عادة. آراء أعلاه قد تم مناقشتها وتوضيحها من قبل بعض الباحثين والمؤرخين واللغويين والنحاة أن مدرسة البصرة مبنية على القياس ومدرسة الكوفة على منهج السماع والشذوذ. ومع ذلك، يهدف هذا البحث إلى تحقق منهج مدرستي البصرة والكوفة من أجل تحقيق مبادئهم في تنفيذ الجدال اللغوي الذي يقوم على أساس الآيات القرآنية.



Abstract

The conflicts between schools of grammar among Arab traditional grammarians indicated that the differences on intellectual approaches occurred in modifying the Arabic Grammar system. For example that the Basra school used the philosophy and logic approaches in their analyzing, critique, modifying and replacing the system in Arabic Grammar. Otherwise, the Kufa school more concentrated on reading Holy Quran, Hadith and Arabic poetry, the thinkers of the school worked on informant sources meant they associated with something unexpected or different what normally happens. The views above had been discussed and clarified by some researchers, historians, linguists and grammarians that Basra school based on analogy and the Kufa School on anomaly approach. However, this research aims to verify the approach of Basra and Kufa schools in order to investigate their principles in implementing the linguistic argumentation, which based on Quranic verses basis.

المقدمة

الصراعات بين المذاهب النحوية دليلا لاختلاف أجناس المفكرين في النحو العربي فمثال من ذلك أن البصريين كانوا ميلهم قويًا لدراسة الفلسفة والمنطق[1]، وهذا الميل أدت إلى تحديد منهج خاص في النحو العربي على سبيل المثال إذا اصطدم أصل من أصوله هم تَأَوَّلُوْه[2] أو عَدُّوه لغةً[3] أو رَمَوه بالشذوذ أو القلة أو الندرة الخطاء لأنهم لا يلتفتون إلى كل السماع[4] وإلا من قبائل السته فحسب[5] كما ذكر السيوطي[6] "لو سمعوا بيتًا واحدًا فيه جوازًا شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا، وبوبوا عليه"، وأيضا قوله في كتاب آخر[7] "إذا سمعوا لفظًا في شعر أو نادركلام جعلوه بابا"، وأضاف بذلك في كتابه الآخر[8] "كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه، فأفسد النحو بذلك". ويختلف بما حدث في الكوفة، معظم من علمائهم اشتغلوا اشتغالا شديدا في قراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار العربية. ومن هذه الآراء المطروحة إشارة واضحة أن الباحثين المؤرخين واللغويين والنحويين قد اتجهوا منهجيا اتجاها كبيرا بأن المذهب البصري مذهب قياس، وأما الكوفة فمذهبها مذهب سماع[9] . ولكن هذه الصراعات قد تكاد تتفق جميع الاتجاهات من المدارس النحوية القديمة أن القراءات القرآنية هي السبب الأساسي في إنشاء وإرساء قواعد النحو العربي أي لم يختلف أحد من النحاة سواء من البصريين أم الكوفيين أن القرآن الكريم أصل من أصول الاستشهاد في اللغة والنحو لأنّ القراءة لا تُخالفُ لأنها سُنَّةٌ. وبذلك السبب الأساسي في وضع النحو العربي لحرص الشديد على النصوص القرآنية حرصا فصيحا شديدًا سليما بعد اللحن ما يشيع على ألسنة العرب كما حدث للحجاج يوسف الثقافي أنه قد قرأ "أَحَبُّ" في الآية ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ

---

[1]شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف: القاهرة، 1995، ص 20-21

[2]محمد حسن الجاسم، القواعد النحوية، دمشق: دار الفكر، 2007، ص 75

[3]الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ، القاهرة: دار المعارف، 1984م ص 22 & 39

[4]السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق محمد حسن الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م ص 201

[5]نفس المصدر ص 56 نقلا عن كتاب "الألفاظ والحروف للفارابي" وهي تميم وقيس وأسد وهذيل وكنانة وطيء

[6]السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص 202

[7]السيوطي، همع الهوامع شرح الجميع الجوامع في علم العربية، بيروت: دار المعرفة، د.ت. 45/1

[8]السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م، 3/ 164

[9]أحمد أمين، ضحى الإسلام، دي.بي.في. : كوالا لومفور، 1978 296/2 ، دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريرة القاهرة: جامعة القاهرة، 1954م ص 55، شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 159، إبراهيم أنيس، طرق تنمية الألفاظ في اللغة، مصر: مطبعة نهضة جديدة، 1967 ص 22، عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحويةن ص 91، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي، ص 440، وعبد الحليم المجيد عابدين، المدخل إلى دراسة النحو العربي، الكويت: مؤسسات علي الجراح الصباح، 1978م ص 75

وَأَمْوَالٌ اْقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ....الآية﴾ التوبة 24[10] بالرفع، فالصحيح بالنصب لأنه خبرٌ لكان. ومثال آخر، قد سمع أبو أسود الدؤالي قارئًا يقرأ الآية ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيْءٌ مِنَ المشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلِهِ﴾ التوبة3 . ويرى السيوطي[11] أن القرآن جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادًا أم شاذًا وقد أطبقَ الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إن لم تخالف بالقياس- بل ولو خالفته يُحتجُّ بها – كما يُحتج بالمجْمَع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الحرف بعينه، ولم يجُز القياس عليه[12] نحو ﴿استحوذ﴾[13] و ﴿يأبى﴾[14] . وكذلك احتجّ على صِحَّةِ قولِ مَنْ قال: إن الله أصله لاه بما قرئ شاذا: ﴿وهو الذي في السماء لاهٌ وفي الأرض لاهٌ﴾[15]. وهناك بعض القراءات عند عاصم وحمزة الزيات وابن عامر وغيرهم بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن. وهم مخطئون في ذلك فإنّ قراءتهم ثابتةٌ بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مَطعنَ فيها[16] وكذلك جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعوله بقراءة ابن عامر ﴿قتْلَ أولادَهمْ شركائِهم﴾[17]. وعلى جواز سكون لام الأمر بعد ثُمَّ بقراءة حمزة ﴿ثُمَّ ليقطعْ﴾[18]. وقد سأل عروةٌ عائشةً عن لحن القرآن مثل ﴿إنْ هذان لَساحران﴾[19] و ﴿والمقيمين الصّلاةَ والموتونَ الزكاة﴾[20] و ﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنّصارى والصَّابئون﴾[21]فقالت: يا ابن أخي هذا عملُ الكُتَّاب أخطؤوا في الكِتَابِ[22]. وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة عديدة في كتابي "الإتقان في علوم القرآن" و "كتاب المصاحف"، وفي "الإتقان" وأحسن ما يقال في أثر عثمان (رضي) بعد تضعيفه الاضطراب الواقع في إسناد والانقطاع أي أنه وقع في روايته تحريف، وكذلك في "المصاحف" أخرجه ابن أشته من طريق عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر، قال لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه فقال "أحسنتم وأجملتم أرى شيئًا سنقيمه بألسنتنا، فهذا الأثر لا إشكال فيه، فكأنّه لما عُرِضَ عليه عند الفراغ من كتابته رأى فيه شيئا على غير لسان

[10] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، القاهرة: دار المعارف، 1984م ص 22

[11] السيوطي، الإقتراح في أصول النحو، ص 24

[12] المصدر السابق/ 24

[13] المجادلة 19، لأنها خارج عن معتل أي حاذ أو يحوذ، انظر ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، القاهرة:المكتبة التوفيقية، د.ت.، 117/1

[14] التوبة 32

[15] الزخرف 84

[16] السيوطي، الإقتراح في أصول النحو، ص 25

[17] الأنعام 137

[18] الحج 15

[19] طه 32

[20] النساء 162

[21] البقرة 62

[22] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة: دار الحديث، 2004م، 1236/4

قريش كما وقع لهم في "التابوت"و "التابوه" فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش، ثم وفي بذلك كما ورد من طريق آخر أوردتُها في كتاب "الإتقان".[23] وأدركنا أن نشأة النحو مرتبط بالدراسات القرآنية ارتباطا وثيقًا لأن الاختلاف في قراءاته سبب في الخلافات النحوية[24]. إذ، وجدنا أنها سبب في تنشيء النحو العربي في معظم الأمصار الإسلامية وليس فقط في البصرة فحسب مرتبطا بالقرآن الكريم وقراءته بل في الكوفة ومصر والعراق والبغداد والأندلس وغيرها[25]. أي ظاهر اللحن هو بداية التفكير في وضع العوامل النحوية. واعتماد على ذلك، تركز الباحثة على بعض الخلاف النحوي في القرآن الكريم بغرض من أغراض خاصة في تحليل موقف البصريين والكوفيين في استنباط قواعد النحو العربي معتمد على السماع للحصول على النتائج النهائية بين المذهبين. فتعرض الباحثة الحجج النحوية والمنطقية لدى الأنباري، وثم تتقدّم الدراسة النقدية في التفكير النحوي واتجاهاته يهدف إلى توثيق المعلومات السابقة مع آراء بعض المحدثين عن ذلك.

مظاهر الخلاف النحوي في القرآن الكريم بين البصريين والكوفيين

فهمنا سابقا، أن السبب في وضع النحو العربي هو الحرص الشديد في النصوص القرآنية، ولا شك أنها أفصح الكلام وأبلغ البيان الأولى بالاحتجاج من غيره، كما قال الفراء "والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[26]. وقال ابن خالويه "وقد أجمع الناس جميعًا على أن الكلمة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غيره"[27] والمعلوم بطبيعة الحال أن الاحتجاج بالقرآن في استنباط القواعد النحوية أفضل المنهج السماعي. واحتج جمهور النحاة بالقراءات المتواترة والأحادية والشاذ كما يقول الزركشي "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد(ﷺ) للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها"[28]. وبذلك، فتبدأ الباحثة في بعض الخلاف عن إعراب الكلمات وحركات بنائها[29]، باحتجاج على جواز العطف على

---

[23] السيوطي، الإقتراح في أصول النحو، ص 27

[24] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، الأردن: دار الأمل، 2001م ص 51 و 66.

[25] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 11-327

[26] الفراء، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت:دار الكتب العلمية، 2002م، 14/1

[27] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، ، ج1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م ، 213/1

[28] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة: دار الحديث، 2004م، 273/1

[29] وقد قسم ابن قتيبة وجوه الخلاف في القراءات إلى سبعة أوجه:"الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائهما، والخلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها والاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها والاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ولا معناها، والاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، والاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، والاختلاف بالزياد والنقصان" انظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 36 -40.

الضمير المجرور من غير إعادة بقراءة حمزة الزيات[30] الآية ﴿ واتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلونَ بهِ والأَرْحامَ﴾ النساء 1 [31]، وقرأ بالخفض في "الأَرْحَامَ" وقال الزجاج البصري في هذه القراءة "الجر في الأرحام فخطأ في العربية"[32]. كان يونس بن حبيب[33] يرى أن كلمة "لبّيك" ليس مثنى بل كان أصله "لبى" مقصورًا، ولتثبيت معنى "لبّيك" هل مثنى أم لا لقد جاء سيبويه بقوله تعالى ﴿ ثم ارجع البصركرّتين ينقلب إليك البصرُ خاسئا وهو حسير﴾ الملك 4، فـ كلمة "كرتين" أنه تثنية المقصود بها التكثير وليس المراد به مرتين، وكذلك ولا ينقلب البصر مزدجِرًا كليلًا من كرّتين فقط بل تعين أن يكون المرادُ بـ "كرّتين" التكثير لا اثنين [34]. وباب هل تعمل "إن" المصدرية محذوفة من غير بدلٍ وذهب الكوفيون يجوز إعمال "أن" مع الحذف كما في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ وَإِذْ أَخَذْناَ مِيْثَاقَ بَنِيْ إِسْرَائِيْل لاَ تَعْبُدُوْا إِلاَّ اللهِ﴾ البقرة 83، بنصب (لاَ تَعْبُدُوْا) بـ أنْ مقدّرةً. ورد البصريون هذه القراءة هي قراءة شاذة، لأن (تعبدوا) مجزوم بـ "لا" لأن المراد بها النهي[35]. في القول رافع المبتدأ ورافع الخبر كان الكوفيون جاءوا بقول تعالى ﴿ أَيًا مَا تَدعُوْا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنىَ﴾ الإسراء 110، فـ(أيًا ما) منصوب بـ (تدعوْا)، و(تدعوْا) مجزوم بـ (أيًا ما)، وكذلك الآية ﴿أَيْنَمَا تَكُوْنُوْا يُدْرِككم الموت﴾ النساء 78، فـ (أينما) منصوب بـ (تكونوا)، و(تكونوا) مجزوم بـ (أينما)، وكذلك الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فثمَّ وَجْهُ اللهِ﴾البقرة 115، فـ (أينما) منصوب بـ (تولوا)، و(تولوا) مجزوم بـ (أينما). فجواب البصريين أن (أيًا ما) أو (أينما) مجزوم بالفعل بعده وهو ضعيف، وإنما هو مجزوم بـ "إنْ" و "أيًا ما" أو "أينما" نابا عن "إنْ" وأنهما لم يعملا شيئًا لفظًا وعملًا[36]. والقول رافع الاسم الواقع بعد الظرف والجار كما يحج الكوفيون بقول تعالى ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ سبأ 37[37]، فـ (جزاء) مرفوع بالظرف، وقول تعالى ﴿وآتَيْنَاه الإنجيلَ فيه هدىً ونورٌ﴾ المائدة 46[38]، فـ (هدى) و (نور) مرفوعان بالظرف لأنه حال من (الإنجيل) ويدل عليه قوله تعالى ﴿ومصدّقًا لمِاَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ آل عمران 50[39]، فعطف (مصدّقًا) على حال قبله وما ذاك إلا الظرف، والصلة كقول تعالى ﴿ومنْ عنده علمُ الكتابِ﴾ الرعد

---

[30]من قراء السبعة من الكوفيين

[31]انظر كمال بشار، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، عمان: دار الفكر، 1994، ص 161

[32]الفراء، معاني القرآن، 6/2

[33]من النحويين القدماء على أنه يمثل آراء الكوفيين لأن ابن يعيش قد ذكره في جانب الكوفيين خمس مرات من سبع مرات نصّ فيها على اسمه، انظر مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة النحو، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002م ص 454-456، شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 28-29

[34]ابن عقيل، شرح ابن عقيل، بيروت: دار الفكر، 1998م، 15/2

[35]الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، . 1998م، 95/2

[36]المصدر السابق، 52/1

[37]المصدر السابق، 55/1

[38]المصدر السابق، 56/1

[39]المصدر السابق، 56/1

43[40]. وأما البصريون فاحتجوا أنّ الاسم بعده يرتفع بالابتداء لأنه قد تعري من العوامل اللفظية أي الابتداء، ولا يصلح الظرف أن يكون عاملا على وجهين: أولا، إذا كان العامل يتعداه إلى الاسم ويُطل عمله كما لا يجوز أن تقول (إنّ يقوم عمرًا) و (ظننت ينطلق بكرًا)، فلما تعدّاه العامل إلى الاسم كما قال تعالى ﴿إنّ لَدَيْناَ أَنْكاَلًا وَجَحِيْمًا﴾ المزمل 12، ما في أحد من القراء يذهب إلى خلاف النصب في الاسم، وثانيًا، لو عاملًا لوجب أن يُرفع به الاسم في قولك "بك زيد مأخوذ" وبالإجماع أنه لا يجوز ذلك[41]. وأما الفراء فيرى أن كل اسم موصول (من، ما، الذي) فحسب، وقد يجوز دخول الفاء في خبره، لأنه مضارع للجزاء والجزاء يُجاب بالفاء كما في قول تعالى ﴿ويكن ما بكم من نعمة فمِنَ الله﴾ النحل 53، إن (ما) في معنى الجزاء، لأن لها فعل مضمر نحو (ما يكن بكم من نعمة فمن الله) فالجزاء لا بدّ له من فعل مجزوم، إن ظهر فهو جزم وإن لم يظهر فهو مضمر لأنك تريد (إن يكن... فَأضمرها) و(ما بكم) في معنى (الذي) وكل اسم وصل يجوز أن دخول الفاء خبره ولا يجوز دخوله في اسم غير موصول[42]. وفي مسألة نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالفاء والواو، ضعّفه سيبويه إلا إذا حصل الشرط كما في قول تعالى ﴿... يحاسبكُم به الله فيغفرَ لمن يشاءُ ويُعذِّبُ من يشاءُ والله على كلّ شيءٍ قدير﴾ البقرة 283، أما الفراء فقد جوّز الأوجه الثلاثة الرفع والنصب والجزم، فالنصب على تقدير (أن)[43]، وتجزم (يغفر) إذا أردت العطف، وترفعه على إضمار المبتدأ[44].

لقول في تقديم الخبر على المبتدأ كان الكوفيون لا يجوّز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردًا أو جملةً وأما البصريون فذهبوا إلى أنه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه المفرد والجملة يحتج بالآية ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خيفةً موسى﴾ طه 1، فالهاء عائدة إلى (موسى) وإن كان متأخرًا لفظًا، لأن موسى في تقدير التقديم، والضمير في تقدير التأخير[45]. وفي باب العامل في الاسم المرفوع بعد لولا، ذهب الكوفيون إلى أن "لولا" ترفع الاسم بعدها، نحو "لولا زيدٌ لأكرمتك" وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء. وهناك بعض الأدلة من القرآن أشارت أنه ليس مرفوعًا بـ "لولا" وتقديره "لو لم يمنعني زيدٌ لأكرمتك" كما قال تعالى ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النّور، ولا الظِّلُّ ولا الحرور﴾ فاطر 19–

[40] المصدر السابق، 56/1

[41] المصدر السابق، 56/1

[42] الفراء، معاني القرآن، 35/2

[43] وهذا ما يذهب إليه الأخفش، انظر حمدة عبدالله أبو شهاب، الجواز وعدمه في أحكام النحويين من سيبويه حتى القرن الرابع الهجري، عمان: دار الضياء، 2007، ص 43

[44] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 375/3-376

[45] المصدر السابق، 71/1

22، ﴿فلا اقتحم العَقَبَةَ﴾ البلد 11 أي لم يقتحم، ﴿فلا صدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾ القيامة 31 أي لم يصدِّق ولم يصلِّ[46].

وفي باب عامل النصب في المفعول فذهب الكوفيون إلى أن العامل في المفعول النصب كان الفعلُ والفاعلُ جميعًا نحو "ضرب زيدٌ عمرًا"، وبعضهم يقولون أن العامل هو الفاعل، وقال هشام بن معاوية[47] إذا قلت "ظننت زيدًا قائمًا" تنصب "زيدًا" بالتاء و "قائما" بالظن، وذهب خلف الأحمر من الكوفيين إلى ان العامل في المفعول معنى المفعولية، والعامل في الفاعل معنى الفاعلية، وذهب البصريون إلى أن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جميعًا[48]. واستدل الكوفيون بقول تعالى ﴿ألقيا في جهنّم﴾ ق 24، فثنى وإن كان الخطاب لملكٍ واحد وهو ملكٌ خازنُ النار لأن على معنى ألقِ ألقِ والتثنية إنما تكون للأسماء لا للأفعال فدلّ على أن الفاعل مع الفعل بمنزلة الشيء الواحد[49]. فاحتج البصريون أن الفعل له تأثير في العمل، أما الفاعل فلا تاثير له في العمل لأنه اسم والأصل في الأسماء أن لا تعمل[50].

وفي مسألة الزنبورية، كما سأل الكسائي سيبويه "قد كنتُ أظُنّ أنّ لسعة العقرب أشد من الزنبور، فإذا هو هي أو فإذا هو إيّاها؟ فجواب سيبويه "فإذا هو هي" ولا يجوز النصب، فأخطأه الكسائي بقول "العرب ترفع ذلك كله وتنصبه"، فدفع سيبويه قوله بالاستشهاد القرآني ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ ، ﴿ فإنما هي زجرة واحدة ﴾، ﴿ فإذا هم خامدون﴾ وكأنها هي وما بعدها مبتدأ وخبر، أما النصب فيكون على الحالية وتوجيهه ضعيف[51]. ووجدنا أن الفراء تابع الأخفش في رفع ما بعد (إذا) و (إنْ) الشرطية في قول تعالى ﴿إذا السماءُ انشقت﴾ و ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك﴾ و ﴿وإن امرؤٌ هلك﴾ مبتدأ وليس فاعلا لفعل محذوف كما ذهب سيبويه وجمهور البصريين[52].

وقرأ جمهور البصريين (فأصدّق وأكنْ)[53] في الآية ﴿لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريب فأصدّقَ وأكنْ من الصالحين﴾ المنافقون 10، وقراء الفراء (فأصدّق وأكونَ) وردّ قراءة الجمهور فقال "كيف جزم (وأكنْ) وهي مردود على فعل منصوب؟ فالجواب، أن الفاء لو لم تكن في فأصدّق كانت مجزومة، فلما رددت (وأكنْ) ردّت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء، ومَن أثبت الواو ردّه على الفعل الظاهر فنصبه، وهي في قراءة عبدالله (وأكونَ من الصالحين)[54].

---

[46] المصدر السابق، 79/1

[47] صاحب الكسائي

[48] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 82/1

[49] المصدر السابق، 83/1

[50] المصدر السابق، 84/1

[51] شوقي ضيف، ص 58

[52] ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، د.ت. 10/9، ابن هشام، مغني اللبيب، بيروت: المكتبة العصرية، 1999م ص 643، ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 371/2

[53] قراءة الخليل، انظر سيبويه، الكتاب، تحقيق د. إميل يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م، 117/1

[54] الفراء، معاني القرآن، 61/3

وفي مسألة القول في ناصب الاسم المشغول عنه، ذهب الكوفيون إلى أن قول العرب "زيدًا ضربته" منصوبٌ بالفعل الواقع على الهاء، وأما البصريون فذهبوا إلى أنه منصوب بفعل مقدّر والتقدير "ضربت زيدًا ضربته". فاحتج الكوفيون إنه منصوب بالفعل الواضع على الهاء، وذلك لأن الهاء العائد (المكنيُّ) هو الأول في المعنى، فينبغي أن يكون منصوبًا به كما قالوا "أكرمت أباك زيدًا" و "ضربت أخاك عمرًا". وأما البصريون فذهبوا إلى أنه منصوب بفعل مقدر دلالة على ظاهر فيه، فجاز إضماره استغناء بالفعل الظاهر عنه وأما المثال "أكرمت أباك زيدًا" فإنتصاب زيد على البدل لأن متأخرا عن المبدل منه " أباك" [55]. أي أن العامل في البدل غير العامل في البدل منه، وإن العامل في المبدل منه على تقدير التكرير في عامل البدل، والذي يدل على ذلك إظهاره في البدل كما أظهر في المبدل منه، كما في قول تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ الأعرف 75، (لمن آمن منهم) بدل من قوله (للذين استضعفوا) فأظهر العامل في البدل كما أظهره في المبدل منه، وكما في قول تعالى﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الزخرف 33، ف(لِبُيُوتِهِمْ) بدل من قوله (لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ) فأظهر العامل في البدل كما أظهره في المبدل منه، فدلّ على أنه في تقدير التكرير، وأما في البدل غير العامل في المبدل منه[56]. وفي باب أولى العاملين في التنازع، ذهب الكوفيون في إعمال الفعلين نحو "أكرمني وأكرمتُ زيدًا" و "وأكرمتُ وأكرمني زيدٌ" إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وأما البصريون فذهبوا إلى أن إعمال الفعل الثاني أولى وحجة البصريين كما في الآية ﴿آتُوْنِيْ أفرغْ عَلَيْهِ﴾ الكهف 96، إعمال الفعل الثاني وهو (أفرغ) ولا الأول، لو فعل الأول لقال (أفرغه عليه)، وقال تعالى ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ الحاقة 19، فأعمل الثاني وهو (اقرأوه)، وقال تعالى ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب 35، فلم يعمل الآخر فيما أعمل في الأول استغناء عنه بما ذكره قبلُ، ولعلم المخاطب أن الثاني قد دخل في حكم الأول، وقال تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة 3، فاستغنى بذكر خبر الأول عن ذكر خبر الثاني، لعلم المخاطب أن الثاني قد دخل في ذلك[57]. فاستغنى بخبر الثاني عن الأول مثل قوله تعالى ﴿حتى توارتْ بالحِجَابِ﴾ ص 32، يعني "الشمس" لم يُذكر، وكذلك في الآية ﴿كلُّ مَنْ عليها فانٍ﴾ الرحمن 26، يعني الأرض[58]. وفي باب "نعم" و "بئس" أفعلانِ هما أم اسمان؟ رأى الكوفيون أنهما اسمان مبتدآن، وقال بعض

---

[55] المصدر السابق، 85/1

[56] المصدر السابق، 86/1

[57] المصدر السابق، 94/1

[58] المصدر السابق، 97/1

العرب "يا نعمَ المولى ويا نعمَ النصير" فنداؤهم "نعم" يدل على الاسمية كقول تعالى﴿ألاّ يسجدوا لله الذي يُخرِجُ الخبءَ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تُعلنونَ﴾ النمل 25، أي يا هؤلاء اسجدوا، وقال بعض العرب "ألست بنعمَ الجارُ يؤلِف بيتَه" و "نعمَ السير على بئسَ العير" و "والله ما هي بنعم المولودة" التقدير ألستُ بجارٍ مقول فيه، والله ما هي بمولودة مقولٍ فيها نعم المولودة، أو التقدير "والله ما ليلي بليل مقول فيه نام صاحبه" إلا أنهم حذفوا منها الموصوف وأقاموا الصفة مقامه كقول تعالى ﴿أن اعملْ سابغاتٍ﴾ السباء 11، أي دروعا سابغاتٍ، ﴿ وذلك دينُ القَيّمة﴾ البينة 5، أي الملّة القيمة، وقال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ الزمر 3، أي يقولون: ما نعبدهم، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾غافر 7، وقال تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد 23-24، أي يقولون: سلام عليكم، وقال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ البقرة 127، أي يقولون: ربنا[59]. وأما البصريون فذهبوا إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرَّفانِ، والدليل كما في قول العرب (نعما رجلين) و (نعموا رجالًا) و (نعم الرجلُ) و (بئسُ الغلامُ) و (نعمَ رجلًا زيدٌ) و (وبئس غلاما عمروٌ) و (بئست الجارية) و (نعمت المرأة) فدلّ على أنّها فعل. وبعض يقول أن التاء يختص بها الفعل ليس بصحيح لأنها قد اتصلت بالحرف في قول العرب (رُبّتْ) و (ثُمّتْ) و (لاتَ) كما في قول تعالى ﴿ فنادوْا ولاتَ حِيْنَ مناصٍ﴾ ص 3، أي ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وحكى أنهم يزيدون ألتاء على (حين) و (أوان) و (الآن) فيقولون: تحينَ كذا، وتأوان كذا وتالآن، كما في الشعر: *العاطفون تحينَ ما مِنْ عاطفٍ* * *والمطعِمون زمانَ المطعمُ* [60].

وفي باب "أفعل" في التعجب، اسم هو أو فعل؟ ذهب الكوفيون أنّه اسم نحو (ما أحسنَ زيدًا) والدليل أنّه اسم جامد لا يتصرف وجب أن يلحق بالأسماء، والدليل آخر على أنها اسم أنّه يدخله التصغير، كما قال الشاعر: يا **ما أمَيْلِحَ** غِزْلانًا شدَنَّ لنا * مِنْ هاؤليّائكُنَّ الضّالِ والسّمُرِ، الشاهد **ما أمَيْلِحَ**[61]. وأما البصريون فذهبوا إلى أنه فعل ماضٍ[62] والدليل إذا وُصِل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية، نحو (ما أحسنني عندك، وما أظْرَفتني في عينك) ونون

---

[59] المصدر السابق، 112/1

[60] المصدر السابق، 107/1

[61] المصدر السابق، 123/1

[62] ذهب إليه الكسائي من الكوفيين

الوقاية إنما تدخل على الفعل لا على الاسم نحو (أرشدَني، وأسعدَنِي، وأبعدني) ولا تقول في الاسم (مُرشِدُنِي، مُسعدُنِي، وردّ البصريون قول الكوفيين أن نون الوقاية قد دخلت على الاسم نحو (قدني، قطني) ليس صحيح لأنهما من الشاذ لا يعرج فهما في الشذوذ بمنزلة مني وعني[63]. والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظًا لا معنًى من حيث متوجّهًا إلى المصدر، فهم رفضوا عن ذكر المصدر هنا، فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغّروا الفعل لفظًا ووجهوا التصغير إلى المصدر وجاز تصغيرُ المصدرِ بتصغير فعله لأن الفعل يقوم في الذكر مقام المصدره لأنه يدل عليه بلفظه كما قال تعالى ﴿ولا يحسبنَّ الذين يَبْخَلُوْنَ بما آتَاهم الله من فضله هو خيرًا لهم﴾ آل عمران 180، قوله (هو) ضمير لـ (البخل) وإن لم يكن مذكورًا لدلالة (يبخلون) عليه[64]. القول في تقديم خبر "ليس" عليها، ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر "ليس" عليها لأن "ليس" فعل غير متصرّف فلا يجري مجرى الفعل المتصرف، وأما البصريون فذهبوا إلى أنّ جواز تقديم خبرها عليها كما في قول تعالى ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ هود 8، أي قدّم المعمول خبر (ليس) على (ليس)، فإن قوله (يوم يأتيهم) يتعلق بـ "مصروف" وقد قدّمه على "ليس" ولو لم يجز تقديم خبر "ليس" على ليس وإلا لما جاز تقديم معمول خبرها عليها لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل[65]. والقول في عمل "إنِ" المخففة النصبَ في الاسم، ذهب الكوفيون إلى أن "إنِ" المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب في الاسم والحجة لأن المشددة إنما عملت بسبب أشبهت الفعل الماضيَ في اللفظ وهو على ثلاثة أحرف كما أنه على ثلاثة أحرف وإنها مبنية على الفتح كما أنه مبني على الفتح فإذا خُفّفت فقد زال شبهها به فوجب أن يبطل عملها ، وذهب البصريون إلى أنها تعمل والدليل على صحة الإعمال قوله تعالى ﴿ وإنْ كُلًا لَماَ ليوفينّهم ربك أعمالهم﴾ هود 111، في قراءة مَنْ قرأ بالتخفيف، وهي قراءة نافع وابن كثير وروي أبو بكر عن عاصم بتخفيف "إن" وتشديد "لمّا". وقول تعالى ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ طه 89، أي (أنه لا يرجع إليهم قولًا إلا أنها لا تخفف مع الفعل إلا مع أحد أربعة أحرف وهي: لان، قد، سوف، السين كما في قول تعالى ﴿ عَلِمَ أنْ سيكونُ مِنكُمْ مَرضى﴾المزمل 20[66]. والقول في تقديم معمول اسم الفعل عليه، ذهب الكوفيون إلى أن (عليك) و (دونك) و (عندك) في الإغراء يجوز تقديم معمولاتها عيه نحو (زيدًا عليك) و (عمرًا عندك) و (بكرًا دونك) والحجة قول تعالى ﴿كتاب اللهِ عليكُمْ﴾ النساء 24، والتقدير فيه عليكم كتابَ اللهِ أي ألزموا كتابَ اللهِ فَنُصِبَ (كتاب الله) بـ (عليكم)

[63] الفراء، معاني القرآن، 127/1
[64] المصدر السابق، 134/1
[65] المصدر السابق، 152/1
[66] المصدر السابق، 182/1-183

فدل على جواز تقديمه واحتجوا أيضًا بالشعر: يا أيّها المائح دلوي دونكاَ * إني رأيتُ النّاسَ يحمدونَكا، التقدير فيه (دونك دلْوي) ف (دلوي) في موضع نصب ب (دونك) فدلّ على جواز تقديمه. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز تقديم معمولاتها عليها[67] لأن هذه الألفاظ فرعٌ على الفعل في العمل، لأنها عملت عمله لقيامه مقامهفيتبغي أن لا تتصرف تصرّفه فوجب أن لا يجوز تقديم معمولاتها عليها، وأما قول أنّ ﴿كتاب اللهِ عليكُمْ﴾ فليس له الحجة بل (كتاب الله) ليس منصوبًا ب (عليكم) وإنما هو منصوب لأنه مصدر والعامل فيه فعل مقدّر والتفدير فيه (كتب كتابَ الله عليكم) وإنما قُدِّر هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدم عليه[68]. وفي باب هل يقع الفعل الماضي حالًا فذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالًا[69] بدليل قول تعالى ﴿أو جاؤوكُمْ حصِرت صُدُورُهم﴾النساء 90، ف (حَصِرتْ) فعل ماض وهو في موضع الحال وتقديره (حصِرةً صُدورُهم)، وقول تعالى ﴿وَإِذ قَالَ اللهُ يا عِيْسَى ابن مريمَ﴾ المائدة 116، والدليل من الشعر: *وإنّي لَتعروني لذكراكِ نُفضةٌ *كما انْتُفضَ العصفورُ **بلّله** القطرُ*، ف (بلّله) فعل ماض وهو في موضع الحال فدلّ على جوازه[70]. وأما البصريون فذهبوا إلى أنّه لا يجوز أن يقع حالًا، وردّ الحجة من الكوفيين في قول تعالى ﴿أو جاؤوكُمْ حصِرت صُدُورُهم﴾ أن تكون هي صفة ل (قوم) المجرور في أول الآية ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أو الوجه الثاني أن تكون صفة ل (قوم) مقدر ويكون التقدير فيه (أو جاؤوكم قومًا حصِرت صدورهم، والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالًا بالإجماع، والوجه الثالث أن يكون خبرًا، كأنه قال (أو جاؤوكم، ثم أخبر فقال حصرت صدورهم)، والوجه الرابع أن يكون محمولًا على الدعاء لا على الحال، كأنه قال (ضَيَّقَ الله صدورهم)[71].

وفي قول هل تقع "مِنْ" لابتداء الغاية في الزمان، فذهب الكوفيون إلى أنّ "مِنْ" يجوز استعمالها في الزمان والمكان بدليل من قول تعالى ﴿لَمَسجدٌ أُسِّس على التَّقْوَى مِن أَوَّلِ يَوم أَحَقَّ أن تقوم فيه﴾ التوبه 108، و (أول يوم) من الزمان، وأما البصريون فذهبوا إلى أنّه لا يجوز استعمالها في الزمان لأن اتفاق لديهم أنّ (منْ) في المكان نظير "منذ" في الزمان لأن "مِن" وُضعت لتدلّ على ابتداء الغاية في المكان، كما أنّ "مذ" وُضِعت لتدلّ على ابتداء الغاية في الزمان نحو (ما رأيتُهُ مُذْ يومُ الجمعة) فيكون المعنى أن ابتداء الوقت الذي انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة. وكذلك هذه الآية تقديره مِنْ تأسيس أول يوم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامَه كما في قول تعالى ﴿ واسأَلِ القريةَ الّتي كُنَّا

---

[67] ذهب إليه الفراء من الكوفيين

[68] المصدر السابق، 212/1

[69] ذهب إليه أبو الحسن الأخفش من البصريين

[70] الفراء، معاني القرآن، 234/1

[71] المصدر السابق، 235/1

فيها والعيرَ التي أقبلنا فيها﴾ يوسف 82، والتقدير فيه أهل القرية وأهل العيرِ[72]. وفي باب هل يجوز أن تجيء واو العطف زائدة؟ فذهب الكوفيون إلى الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة، والحجة من قول تعالى ﴿حتَّى إذا جاؤوها وفُتِحتْ أبوابُها﴾ الزمر 73، فالواو زائدة لأن التقدير فيه (فتحت أبوابها) لأنه جواب لقوله ﴿حتّى إذا جاؤوها﴾، في صفة سوقِ أهل النار ولا فرق بين الآيتين كما في قوله تعالى ﴿حتّىَ إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حدبٍ ينسِلون واقترب الوعدُ الحقُّ﴾الأنبياء 96-97، فالواو زائدة لأن التقدير فيه (اقترب) لأنه جواب لقوله تعالى ﴿حتّى إذا فُتحت﴾، وأما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز لأن الواو في الأصل حرف وُضِع لمعنىً، فلا يجوز أن يحكم بزيادته مهما أمكن أن يُجرى على أصله، ورد الأنباري أن الآية لدى الكوفيين لا حجّة لهم لأن الواو في قول تعالى ﴿حتّى إذا فُتحت﴾ عاطفة وليست زائدة وأما جواب (إذا) فمحذوف فالتقدير فيه (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها فازوا ونعموا) لأن العرب قد تترك في مثل هذا الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأيّ شيء وضع هذا الكلام[73]. ولعل فيما يشهد البصريين والكوفيين شهادةً قاطعةً لأنهم لم يكن دافعهم إلى الطعن والنقص بل دافعهم إلى الرغبة الشديدة في تحري وتثبت استنباط أحكام القواعد النحوية القرآنية كالمصدر الأول والأساسي في فصاحة لسان العرب.

الحجج النحوية والمنطقية لدى الأنباري

قد تحدث ابن الأنباري الكوفي الخالص عن الخلاف بين رأيي البصريين والكوفيين في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" وكان منهجه منهجًا نحويًا فلسفيًا واسعًا لأنه من أحد من دعموا النحو الكوفي بالعلل المنطقية، وكان عقله أكثر منطقية وأقدر على التعليل والبرهنة والإدلاء بالحجج البينة[74] ، وهو الكوفي نابه كثير الحفظ واسع الاطلاع واتُّفق بين النحويين أنّه كان أكثر الكوفيين حفظًا للغة والشواهد[75]كما قال أبو القالي "كان ابن الأنباري يحفظ ثلاثمئة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين"[76]. وموقفه في السماع أو النقل موقفًا شديدا كما قوله "هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة"[77] . لو نلتفت إلى المنهج الكوفي كما يصوره الأنباري في الإنصاف فوجدنا أنه على المذهب البصري عندما تحدث عن القواعد النحوية كان كلامه اعتمادًا كثيرًا على الثقافة الكلامية والقياس المنطقي حتى لم يؤيد آراء

---

[72] المصدر السابق، 246/1

[73] من جواب الخليل عندما سُئل "أين جوابُها؟"، انظر سيبويه، الكتاب، 119/3-120

[74] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 239، صالحة حاج يعقوب، دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي، القاهرة: دار السلام، ص 11-43

[75] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، المجمع الثقافي: أبو ظبي، 2002، ص 208

[76] ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982، 230/2

[77] الأنباري، لمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط2، بيروت:دار الفكر، 1971م. ص 81

الكوفيين إلا في سبع مسائل فحسب[78] من مائة وعشرين مسألةً[79] كما ورد في قوله "... وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والاسراف"[80] .

وتبدأ الباحثة حجة الأنباري في باب هل المبتدأ مرفوع بالإبتداء أم لا، قد ردّ ابن الأنباري الآية استدل الكوفيون بها ﴿ أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ الإسراء 110، و﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ النساء 78. وردّ الأنباري رأي الكوفيين بأن حجتهم ليست سالمة لأن الفعل بعد "أيًا ما" و "أينما" مجزوم بـ "أيًا ما" و "أينما" وإنما هو مجزوم بـ "إنْ" و "أيًا ما" و "أينما" نابا عن "إن" لفظًا، وإن لم يعملا شيئا بل هو نابت عن "إنْ" لفظا عملا، ولكن جاز أن يعمل كلّ واحد منهما في صاحبه لاختلاف عملهما، ولم يعملا من وجه واحد، فجاز أن يجتمعا ويعمل كل واحد منهما في صاحبه بخلاف هاهنا[81]. ويأتي بحجة المنطق عندما قارن بين الابتداء والسيف، بقول أن السيف يقطع في محلّ ولا يقطع في محل آخر وكذلك الابتداء لا يعمل وإلا في المبتدأ[82]. وردّ الأنباري قول الكوفيين بأن لا يجوز تقديم الخبر عل المبتدأ واستدلال بالآية ﴿ فأوجس في نفسه خيفةً موسى﴾ طه1، فالهاء عائدة إلى موسى وإن كان متأخرًا لفظًا، لأن موسى في تقدير التقديم، والضمير في تقدير التأخيرن كما قال زهير: *من يلقَ يومًا على عِلَّاته هَرِمًا * يلقَ السَّماحةَ منهُ والنّدى خُلُقًا* ، الشاهد: "على علاته هرمًا" حيث قدّم الضمير في "علاته" على الاسم المتأخر "هرمًا". ودليل آخر إشارة إلى أنّ يجوز تقديم الخبر على المبتدأ بقول تعالى ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات﴾ تقدم فيه ضمير الاسم على ظاهره تقديرًا لا لفظًا، والضمير متى تقدم تقديرًا لا لفظًا أو تقدم لفظًا لا تقديرًا فإنه جواز، بخلاف ما إذا تقدم عليه لفظًا وتقديرًا[83].

كان ميوله إلى البصريين استمرارا حينما وافق مع البصريين في أن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول معا. واجاب الأنباري أن هذا لا يدل على أنهما العاملان فيه لأن الفاعل اسم وأصل الاسم لا يعمل. وأما قولهم "لو كان الفعل هو العامل في المفعول لكتاب يجب أن يليه ولا يفصل بينه" وردّ الأنباري هذا القول بقول هذا باطل لأن إذا أجمعنا على أنه يجوز أن يقال (إن في الدار لزيدًا) و (إنّ عندك لعمرًا) قال تعالى ﴿ إنّ في ذلك لآية﴾ الحجر 77، وقال

[78] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص 19، صالحة حاج يعقوب، دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي، القاهرة: دار السلام، ص 71-82

[79] انظر المقدمة في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ص 11

[80] المقدمة في نفس المصدر، ص 12

[81] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 51/1

[82] المصدر السابق، 54/1

[83] المصدر السابق، 71/1



تعالى ﴿ إن لدينا أنكالًا﴾ فنصب بـ (إن) وإن لم تَلِه[84] أي المفعول. وكذلك دون الموافقة مع الكوفيين في ناصب الاسم المشغول عنه (زيدًا ضربته) أي (زيدًا) منصوب بالفعل الواقع على الهاء، لأن انتصاب (زيدًا) على البدل، وجاز أن يكون بدلا لأنه تأخر عن المبدل منه، إذ لا يجوز أن يكون البدل إلاّ متأخرًا عن المبدل منه، ولا يجوز ان يتقدم البدل على المبدل منه لأن العامل في البدل غير العامل في المبدل منه، وإن العامل في المبدل منه على تقدير التكرير في البدل، والذي يدل على ذلك إظهاره في البدل كما اظهر في المبدل منه كما في قول تعالى ﴿ولولا أن يكون الناسُ أمّةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمنن لبيوتهم سُقُفًا من فضة﴾ الزخرف 33، (لبيوتهم) بدل من (لمن يكفر بالرحمن)، فأظهر العامل في البدل كما أظهره في المبدل منه، فدلّ على أنه في تقدير التكرير، وان العامل في البدل غير العامل في المبدل منه[85].

وأما في باب التنازع زعم الأنباري أن الكوفيين كانوا يُعنون بالإبتداء لأن لو هم أعملوا الثاني كقولهم (لو اعملنا الثاني لأدى إلى الإضمار قبل الذكر، جوزنا ذلك أي الاضمار قبل الذكر لأن ما بعده يفسره، لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب كقول تعالى ﴿والحافظين فروجَهم والحافظات، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ الأحزاب 35 .فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل، ولعلم المخاطب أن الثاني قد دخل في حكم الأول، وقال الله تعالى أ﴿ن الله بريء من المشركين ورسولُه﴾ التوبة 3، فاستغنى بذكر خبر الأول عن ذكر خبر الثاني، لعلم المخاطب أن الثاني قد دخل في ذلك[86]. وفي قول أن (نعم) و (بئس) أفعلان هما أم لا، فالكوفيون ذهبوا إلى أنهما إسمان مبتدآن، وأما البضريون فيرون أنهما فعلان ماضيان يتصرفان. قال الأنباري أنهما فعلان لا اسمان ورد كلام الكوفيين أن يحكم له بالاسمية لتقدير الحكاية مثال من قول العرب "نعم السيرُ على بئسَ العير" أي (نعم السير على عيرٍ مقولٍ فيه: بئس العير) أي بجار "مقول فيه: نعم الجار"[87] ورد قول الكوفيين "أن النداء لا يكون ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى ندا "ينفك عن أمر أو نهي" بل يكثر مجيء الخبر والاستفهام مع النداء كثرة الأمر والنهي. ذهب الكوفيون إلى أنّ (أفعل) في التعجب اسم، وأما البصريون فيرون أنها فعلٌ ماض، فقال الأنباري "أن قول الكوفيين دليل على أنه اسم أنه لا يتصرف" وجواب من الأنباري عدم تصرفه لا يدل على أنه اسم فإنا أجمعنا على أن "ليس" و "عسى"

[84] المصدر السابق، 84/1

[85] المصدر السابق، 86/1

[86] المصدر السابق، 87/1

[87] المصدر السابق، 112/1

فعلان فهما يتصرفان، وإنما لا يتصرف فعل التعجب لديهم لوجهين أولا: أنهم لم يضعوا للتعجب حرفًا يدل عليه جعلوا له صيغة لا يختلف لتكون أمارة للمعنى الذي أرادوه، وأنه مضمن معنى ليس في أصله، وثانيا: لم يتصرف لأن المضارع يحتم زمانين الحال والاستقبال، والتعجب إنما يكون مما هو موجود مشاهد، وقد يتعجب من الماضي، ولا يكون التعجب مما لم يكن، فكرهوا أن يستعملوا لفظا يحتمل الاستقبال لئلا يصير اليقين شكا، وأما قول العرب (ما أملح ما يخرج هذا الغلام) و (ما أطول ما يكون هذا) فلا يقال ذلك حتى يُرى فيه مخيلة ذلك، فدلّك ما رأيت في وقتك على ما يكون بعد ذلك، فكأنك قد شاهدته موجودًا[88]. ولما كرهوا استعمال المضارع كانوا لاستعمال اسم الفاعل أكره لأنه لا يختص زمانًا بعينه، فلهذا منعوه من التصرف، وعدم التصرف لا يدل على أنه اسم كما في (ليس) و (عيسى)[89]. ودليل آخر أنّه اسم تصحيح عينه في (أقومَه وما أبيعه) فقال الأنباري التصحيح حصل له من حيث حصل له التصغير، وذلك بحمله على باب (أفعل) الذي للمفاضلة، فصحح كما صحّح من حيث إنه غلب عليه شَبهُ الأسماء بأن ألزم طريقة واحدة، والشبه الغالب على الشيء لا يخرجه عن أصله، ألا ترى أن الأسماء التي لا تتصرف لما غلب عليها شبه الفعل منعت الجر والتنوين كما منعهما الفعل، ولم تخرج بشبهها للفعل عن أن تكون أسماء أي من قول الأنباري فهمنا أن تصحيح العين في نحو (ما أقومه) و (ما أبيعه) لا يخرجه عن أن يكون فعلا، دليل على أن تصحيحه غير مستنكرٍ في كلامهم كما جاءت أفعال متصرفة مصححة نحو قول العرب (أغيلت المرأة) و (أغيمت السماء) و (استحوذ يستحوذ) كما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان)[90] و(ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين)[91] وقرأ الحسن البصري (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينتْ)[92] على وزن أفعلت[93]. القول في تقديم خبر (ليس) عليها[94] يرى الكوفيون أنه لا يجوز وأما الصريون يجوّززون ذلك كما يجوز في تقديم خبر كان عليها. ورد الأنباري قول البصريين قد استدل بقول تعالى ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيْهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لا حجة فيه ولا نسلم لأن (يوم) متعلق بـ "مصروف"، ولا أنه منصوب، وإنما هو مرفوع بالابتدأء، وإنما سلم أنه منصوب إلا أنه منصوب بفعل مقدر دلّ عليه قول تعالى ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ هود 8 وتقديره (يلازمهم يوم يأتيهم العذاب) لقول تعالى ﴿ولئنْ أخرنا عنهمُ العذابَ إلى أُمّةٍ معدودة ليقولنَّ ما يحسبهُ﴾ وأما ابن الأنباري فما وافق بهذا

[88] المصدر السابق، 132/1

[89] المصدر السابق، 132/1

[90] المجادلة 19

[91] النساء 141

[92] يونس 24

[93] الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 138/1

[94] مسألة 18

القول ويقول أن ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ فلا حجة فيه لأن (يوم) مصروف ولا أنه منصوب وإنما هو مرفوع بالابتداء وإنما بُني على الفتح لإضافته إلى الفعل، كما قرأ نافع والأعراج قوله تعالى ﴿هذا يومَ ينفع الصادقين صِدقُهم﴾ المائدة 119 (يوم) في موضع رفع وبني على الفتح لإضافته إلى الفعل. القول في عمل "إن" المخففة النصبَ في الاسم[95]، يرى الكوفيون أن (إنْ) المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب في الاسم، وأما البصريون فيرون أنها تعمل. جواب الأنباري لكلمة الكوفيين (إنما عمِلت لشبه الفعل لفظا، فإذا خُفّفت زال شبهها به فبطل عملها) فقال لهم هذا باطل لأن (إنّ) إنما عملت لأنها أشبهت الفعل لفظا ومعنى، لو خُفّفت صارت بمنزلة فعل حُذف منه بعضُ حروفه وذلك لا يبطل عمله نحو "ع الكلام" و "شِ الثوبَ" و "لِ الأمرَ" وما أشبه ذلك، ولا تُبطل عمله[96].

والقول في تقديم معمول اسم الفعل عليه، الكوفيون يجوّزون ذلك نحو (زيدًا عليك)، و (عمرًا عندك) و (بكرًا دونك) كما في الشعر (يأ يها المائح دلوِي دونكا). جواب الأنباري لقول الكوفيين ودليلهم من الشعر أن كلمة "دلوى" ليس في موضع نصب ولكنه لا يكون منصوبًا بـ (دونك) وإنما هو منصوب بتقدير فعل، كأنه قال (خذْ دلوي دونك) و (دونك) مفسّر لذلك الفعل المقدر. واما قولهم "إنها قامت مقام الفعل فيجوز تقديم معمولها عليها كالفعل " هذا فاسد " قال الأنباري لأن الفعل الذي قامت هذه الألفاظ مقامه يشتحق في الأصل ان يعمل النصبن وهو متصرّف في نفسه فتصرّف عمَلَه، وأما هذه الألفاظ فلا تستحق في الأصل أن تعمل انصب، وإنما أعملتْ لقيامها مقام الفعل، وهي غير متصرّفة في نفسها فينبغي أن لا يتصرف عملها[97]. وفي مسالة هل يقع الفعل الماضي حالًا فيرى الكوفيون أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالا، وأما البصريون فيرون أنّه لا يجوز أن يقع حالا. قول الأنباري أما احتج الكوفيون أن (حصرت) في قول تعالى ﴿ أو جاؤوكم حَصِرت صدورهم﴾[98] فلا حجة لها لأنها تكون صفة لـ (قوم) المجرور في أول الآية وهو قول تعالى ﴿ إلا الذين يصلون إلى قومٍ ﴾ [99]، ورد أيضا بقولهم "إنه يجوز أن يقوم الماضي مقام المستقبل، وإذا جاز أن يقوممقام الحال" وهذا لا يستقيم لأن الماضي إنما يقوم مقام المستقبل في بعض المواضع على خلاف الأصل بدليل بدل عليه كقول تعالى ﴿ وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ المائدة 116، فلا يجوز فيما عداه، لأنه على الأصل أي ليس من ضرورة أن يجوز أن يقام الماض مقام المستقبل ينبغي أن يقام مقام الحال، لأن المستقبل

---

[95] مسألة 24

[96] الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 192/1

[97] الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 216/1

[98] النساء 90

[99] النساء 90

فعل كما أن الماضي فعل، فجنس الفعليّة مشتمل عليهما، وأما الحال فهي اسم، وليس من ضرورة أن يقام الفعل مقام الفعل يجب ان يقوم مقام الاسم[100].

وفي مسالة هل تقع "من" لابتداء الغاية في الزمان، يجوز الكوفيون استعمالها في الزمان والمكان، وأما البصريون فذهبوا إلى أنها لا يجوز استعمالها في الزمان. وقال الأنباري أن قول الكوفيين دليل في تجويزه من قول تعالى ﴿ من أوّل يومٍ أحقُّ ان تقوم فيه﴾ التوبة 108، فلا حجة فيه لأن التقدير (من تأسيس أول يوم) فحذف المضاف وقام المضاف كما قول تعالى ﴿واسأل القرية التي كُنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾يوسف 82، والتقدير فيه (أهل القرية وأهل العير[101]، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقال تعالى ﴿ولكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بالله﴾ [102]. وفي باب القول هل يجوز أن تجيء واو العطف زائدة؟ فيجوز الكوفيون بذلك وحجة عنهم من قول تعالى ﴿ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها﴾ الزمر 73 فالواو زائدة لأن التقدير فيه (وفتحت أبوابها) لأنه جواب لقوله (حتى إذا جاؤوها) في صفة سوق أهل النار ولا فرق بين الآيتين كما في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَت يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الوَعدُ الحقُّ﴾ الأنبياء 96-97 فالواو زائدة لأن التقدير فيه (اقترب) لأنه جواب لقوله تعالى (حتّى إذا فُتحت)، وأما البصريون فلا يجّوزون ذلك، بالنسبة الآية ﴿ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها﴾ [103]فقال الأنباري لا حجة لها لأن الواو في قوله (وفتحت أبوابها) عاطفة وليست زائدة، وأما جواب (إذا) فمحذوف، والتقدير فيه (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها فازوا زنعِموا، وكذلك قول تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَت يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الوَعدُ الحقُّ﴾ [104] الواو فيه عاطفة، وليست زائدة والجواب محذوف، والتقدير فيه (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قالوا "يا ويلنا، فحذف القول)[105].

ومن سبع المسائل مما أيّدها الأنباري قول الكوفيين، وهي: أولًا، المسألة العاشرة[106] التي عرضت للخلاف بين الفريقين في "لولا"، إذ ذهب الكوفيون إلى أنها الرافعة للاسم بعدها، والبصريون إلى أن الاسم بعدها مرفوع بالابتداء، ووافق الأنباري بالكوفيين أن "لولا" ترفع الاسم بعدها "لولا زيد لأكرمتُك" ورد قول البصريين إن الحرف إنما يعمل إذا كان

[100]الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 239/1

[101]المصدر السابق، 346/1

[102]البقرة 177

[103]الزمر 73

[104]الأنبياء 96-97

[105]الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 409/1

[106]المصدر السابق، 74/1

مختصًا، و"لولا" حرف غير مختص، ورد البصريين بقول أن "لولا" غير مختص بحجة أن "لو" التي في هذا البيت ليست مركّبة مع "لا" نحو "لولا زيد لأكرمتك"، وإنما "لو" حرفٌ باقٍ على أصله من الدلالة على امتناع الشيء لامتناع غيره، و "لا" معها بمعنى "لم"، لأن "لا" مع الماضي بمنزلة "لم" مع المستقبل نحو "قد رميتهم لو لم أحدّ" كقول تعالى ﴿ فلا اقتحم العقبة﴾ البلد 11، أي لا يقتحم العقبة، وقول تعالى ﴿فلا صدّق ولا صلّى﴾ القيامة 31، أي لم يصدّق ولم يُصَلِّ كقول الشاعر: *إنْ تغْفِرِ اللهم تغفرْ جمّا * وأيُّ عبدٍ لك لا ألَمَّا*، والشاهد" لا ألَمَّا" معتبرًا أن "لا" بمعنى "لم"، والفعل الماضي بمعنى المضارع أي أنّ الشاعر أراد القول "لم يلمّ"[107] وكذلك مثال استدل البصريون به "لولا حُدِثْتُ" أي لو لم أحدّ دلّ على أنّ "لولا" هذه ليست "لولا" التي وقع فيها الخلاف، فدلّ على أنّها مختصة بالأسماء دون الأفعال، فوجب ان تكون عاملة[108] . وثانيًا، المسألة الثامنة عشرة[109]، التي عرضت للخلاف بينهما في تقديم خبر ليس عليها إذ ذهب الكوفيون إلى منعه البصريون إلى جوازه، وقال الأنباري "والصحيح عندي ما ذهب إليه الكوفيون"[110] وأما الجواب عن كلمات البصريين في قوله تعالى﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾هود 8، فلا حجة لهم فيه لأنا لا نسلم أن (يوم) متعلّق بـ "مصروف"، ولا أنه منصوب وإنما هو مرفوع بالإبتداء، وإنما بُني على الفتح لإضافته إلى الفعل، كما قرأ نافع والأعرج قوله تعالى ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقُهُم﴾ المائدة 119 فإن (يوم) في موضع وُفع، وبني على الفتح لإضافته إلى الفعل، فكذلك هاهنا. وثالثًا، المسالة السادسة والعشرون[111] التي دار الخلاف فيها حول لام "لعل" الأولى إذ قال الكوفيون بأصالتها والبصريون بزيادتها كما قال الأنباري "والصحيح عندي ما ذهب إليه الكوفيون"[112] وأما الجواب عن كلمات البصريين "إنا وجدناهم يستعملونها كثيرًا في كلامهم بغير لام" بدليل ما أنشدوه من الأبيات" فقلنا إنما حذفت اللام من "لعل" كثيرًا في أشعارهم لكثرتها في استعمالهم، ولهذا تلعبت العربُ بهذه الكلمة، فقالوا "لعلّ" و "لعلْن" و "لعنَّ" – بالعين غير معجمة- قال الشاعر: حتى *يقول الجاهلُ المنطقُ * لَعَنَّ هذا معه مُعلّقُ*[113] . ورابعًا، المسألة السبعون[114] التي دار الخلاف فيها حول "ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر" فقال الكوفيون بجوازه، والبصريون بعدم جوازه وقال الأنباري "والذي أذهب إليه في هذه المسألة

---

[107]انظر إلى هوامش المصدر السابق، 80/1

[108]ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 1/79-80

[109]المصدر السابق، 151/1

[110]المصدر السابق، 153/1

[111]المصدر السابق، 31/2

[112]المصدر السابق، 206/1

[113]التخريج: الرجز بلا نسبة في خزانة الأدب 422/10، وسرّ صناعة الإعراب 442/2، كلاهما نقلًا من ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 206/1

[114]ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 196/2

مذهب الكوفيين، لكثرة النقل الذي خرج عن حكم الشذوذ، لا لقوّته في القياس[115] وأما الجواب عن كلمات البصريين "إنما لم يجز ترك صرف ما ينصرف لأنه يؤدي إلى ردّه عن الأصل إلى غير أصل" فهو "هذا يبطل بحذف الواو من "هو" لأن لو تقول (غزا هُوَ) فيكون توكيدًا للضمير المرفوع بأنه فاعلٌ، فإذا حُذف الواو والتُبس الهاء الباقية بالهاء التي هي ضمير المنصوب بأنه مفعول، نحو (غزاهُ)[116]. وخامسًا، المسألة السابعة والتسعون[117] التي أوضحت الخلاف في موضع الضمائر المتصلة بولا، الياء والكاف، فذهب الكوفيون إلى أنه رفع، والبصريون إلى أنه جر بلولا وقال الأنباري "والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون"[118] وقول البصريين أن الياء والكاف لا يكونان علامة مرفوع لا نسلم، فإنّه قد يجوز أن تدخل علامة الرفع على الخفض، ألا ترى أنه يجوز أن يقال (ما أنا كأنت) و (أنت) من علامات المرفوع، وهو هاهنا في موضع مخفوض فكذلك هاهنا الياء والكاف عن علامات المخفوض، وهما في (لولاي) و (لولاك) من علامات المرفوع[119]. وسادسًا، المسألة الحادية والمائة[120] التي أوضحت الخلاف في مرتبة الاسم المبهم نحو (هذا، وذلك) في التعريف من الاسم العلم، إذ ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم أعرف من الاسم العلم، والبصريون إلى أن الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم، وقال الأنباري "والذي أذهب إليه ما ذهب إليه الكوفيون"[121] وأما الجواب عن كلمات البصريين "إن الأصل في الاسم العلم أن يوضع لشيء بعينه لا يقع على غيره" فهو "وكذلك الأصل في جميع المعارف، ولهذا يُقال: حدُّ المعرفة ما خص الواحد من الجنس...إلخ"[122] ، وسابعًا، المسالة السادسة والمائة[123] التي تتعلق بقولهم: رأيت البكر، بفتح الكاف، إذا وقف عليها في حالة النصب، وقد ذهب الكوفيون إلى جوازه والبصريون إلى عدم جوازه. وقال الأنباري "والذي أذهب إليه في هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون" وأما الجواب عن كلمات البصريين "إن أول أحوال الكلمة التنكير، فلما امتنع معه في حال النصب تحريك العين تبعه حال التعريف بلام التعريف لأنها لا تلزم الكلمة"[124] فهو هذا فاسد لأن حمل الاسم في حالة التعريف بلام التعريف على

[115] المصدر السابق، 47/2
[116] المصدر السابق، 47/2
[117] المصدر السابق، 215/2
[118] المصدر السابق، 198/2
[119] المصدر السابق، 198/2
[120] المصدر السابق، 215/2
[121] المصدر السابق، 216/2
[122] المصدر السابق، 216/2
[123] المصدر السابق، 234/2
[124] المصدر السابق، 237/2

حالة التنكير لا يستقيم لأنه في حال التنكير في النصب يجب تحريك الراء فيه فلا يجوز العين لعدم التقاء الساكنين...إلخ)[125].

ويرى مهدي المخزومي أن هذه المسائل السبع "إشارة واضحة أن الأنباري تأثر شديد بآراء البصريين وهذا كلها صوّرنا قوة تمسكه بالأساليب البصرية حتى اضطره أن يقف إل جانب البصرية، ويحتج لآرائهم ضد أصحابه مضعفا حجج أصحابه المنطقية متمسكًا بما تمسك به الكوفيون من سماع"[126]، وهناك دليل قوي أنه قد تأثر بالبصريين في قوله "إن إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياسٌ" وأضاف "إذا بطل أن يكون النحو روايةً ونقلًا وجب أن يكون قياسًا وعقلا".

الدراسة النقدية في التفكير النحوي واتجاهاته

ومما سبق يتضح لنا أن اللحن في القراءات كان عاملا في وضع قواعد النحو العربي، ويقتضي هذا الضوء العلمي في ارتقاء العقول العربي حيث بداية التأويل والتقدير والحذف والطعن عند العرب. وفي حالة غياب العامل ووجود الأثر لابد من الافتراض أو التأويل لإيجاد سبب أو عامل متوهم لمعرفة هذا الأثر حتى يواكب القاعدة النحوية أن لكل معمول عامل فلا يوجد عامل بدون عمل ولا عامل بدون معمول[127]. معتمدا على ما ذكرنا سابقا، كان الخليل يكثر من الاحتمالات في وجوه الإعراب للصيغ والألفاظ والعبارات كما يكثر من التأويل والتخريج حين يصطدم ببعض القواعد التي يستظهرها[128] فمثال في مسألة المبتدأ والخبر من ذلك العامل في المبتدأ والخبر في الآية ﴿السارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما﴾ المائدة 38 ، اعتمد سيبويه[129] على أنّ الخبر فيه مبني على الإضمار، لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون خبريًا لا طلبيًا ولذلك لم يجعل الأمر خبرًا عن السارق، بل جعل الخبر محذوفًا تقديره في الفرائض أو فيما فُرض عليكم، فإن هذه الآية لم يُبن على الفعل[130] بل الاسم وجاء من الآيات الأخرى من قول تعالى﴿مثلُ الجنّة التي وُعِدَ المتّقون﴾ محمد 15، ﴿فيها أنهارٌ من ماءٍ﴾ ؟، ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور 2، أن الأشيع عند العرب والقراء هو الرفع كما وضح سيبويه[131] (أما زيدٌ فسلامٌ عليه) (وأما الكافرُ فلعنة الله عليه) فالمرفوع في (زيدٌ) و (الكافرُ) لأن هذا ارتفع بالابتداء. يتجلى لنا أن ما يحمله سيبويه من هذا التحليل من دقة

---

[125]المصدر السابق، 238/2

[126]مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص 446

[127]صالحة يعقوب، نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية، رسالة الدكتورة،الجامعة ةالإسلامية العالمية بماليزيا، 2005، ص 2

[128]شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 45

[129]سيبويه، الكتاب، 71/1، كما قرأ ابن مسعود انظر السيوطي، همع الهوامع شرح الجميع الجوامع في علم العربية، بيروت: دار المعرفة، د.ت. 168/1

[130]المصدر السابق، 196/1

[131]المصدر السابق 1/ 142-143



الحس ودقة الفقه بأساليب العربية واستعمالاتها ودلالاتها أي بمعنى أن "الكتاب" لسيبويه لا يعلم العربية وقواعدها فحسب بل أساليب ودقائقها التعبيرية حيث ربط الفكرة بعلم الفقه وأصوله[132]. كان يعتمد سيبويه على السماع على الأساس الذي وضعته مدرسته ودليل من ذلك أن معظم من أوائل القراء هم من النحاة، ومن هؤلاء ناصر بن عاصم وعمرو بن العلاء وإبن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل الذين يوثق بفصاحتهم وبلغائهم لدى مذهب البصرة. وأما الأخفش فوافق في رفع المبتدأ والخبر كما في الآية ﴿الحمد للهِ﴾ الفاتحة 2،﴿محمّدٌ رسولُ الله﴾ الفتح 29 وقول العرب (سمعُك إليّ) فترفع (سمعُك)[133]. وذكر د. حمدة عبدالله أبو شهاب[134] لعل ما تقدم يُبَيِّن استيفاء سيبويه والأخفش للمسألة، والنحاة الخلفيين رجّحوا بعضها على بعض بالقياس والتعليل والسماع كما حدث بين المبرد وابن السراج، فاستخدم المبرد القياس بينما ابن السرج فلم يستخدمه ولكن ذكر العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر نحو كان، وإن ...ومما قدّم سابقا واضح لنا أن المسألة مختصرة وواضحة، لأن الأدلة استخدمتها من الشواهد معتبرة سماعًا وقياسًا.

وفي الآية قال تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ النحل 40، و﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ يسى 82 .﴿كنْ فيكونُ﴾ مريم 35، غافر 68. بالنصب لأنها مردودة معطوفة على فعل قد نُصب بأن، وأكثر القراء على رفعهما، وقال الفراء (إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ) فقد تمّ الكلام، ثم قال (فيكون ما أراد الله)[135]، وأما الكسائي فلا يجيز الرفع فيهما ويذهب إلى النسق أي العطف على الفعل المنصوب بأن[136]وكان ابن عامر[137] يقراء "يكونَ" بالنصب وهذا يخالف القياس فالحجة من ذلك لأن المضارع لا ينصب بعد الفاء مع الأمر إلا إذا كان جوابًا له مثل (ما تأتينا فَتُحدّثَنا) قوله تعالى ﴿لا يُقضى عليهم فيموتون﴾ فاطر 36، النصب (فتحدّثنا) و (فيموتوا) ب(أَن) مضمرة[138]. كما ذكر سيبويه أنّ لم يرد الله – في رأيه – أنه (الله) يقول للشيء "كُنْ فَيَكُونُ" إذا أراد أن يقول للشيء "كنْ" فحسب ثمّ أحبر أنه يكون[139]. أي بمعنى أن قولَه "فَيَكُوْنُ" كلامًا مستقلًا لا مترتّبًا على الأمر. ونرى – اعتماد على هذه الآية– أن سيبويه ما ذكر عن قراءة ابن عامر في نصب النون في "فَيَكُوْنُ" بل تعرّض قراءةَ الجمهور فحسب بالرفع فيه، وقد اختلف سيبويه والمبرد في قول كعب الغنوي: *وما أنا للشيء الذي ليس نافعي*

---

[132] كان سيبويه أسبق في درس علم الفقه عن علم العربية وقواعدها عندما استوطن في البغداد ودرس بمذهب إمام مالك عن الفقه

[133] الفراء، معاني القرآن، 49/1

[134] حمدة عبدالله أبو شهاب، منهج تقرير مسائل النحو من سيبويه حتى ابن جني، الأردن:دار الضياء، 2007، ص 19

[135] الفراء، معاني القرآن، 32/2

[136] المصدر السابق، 32/2

[137] عبدالله بن عامر من الشام (ت 128هـ) من القراء السبع للقراءات السبع المتواتر

[138] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 343/2

[139] سيبويه، الكتاب، 39/3

* *ويغضب منه صاحبي يقؤول* الشاهد هو "ويغضب" عند سيبويه النصب، بجعله "يغضب" في الصلة ليصحّ الكلام لأنه لا يريد الغضب، والنصب عنده جائز وذلك بأن تعطفه على الشيء حيث أن الشيء منعوتًا وقيل يبدو أن سيبويه قد قدّم ما سمعه من العرب على الجوازات الأخرى للنصب، في حين أن المبرد قدّم ما يراه وجها على رواية البيت[140]. وفي المثال هل يجوز العطف على الضمير المخفوض في الآية ﴿تساءلون به والأرحامِ﴾ النساء 1، هي من قراءة حمزة الزيات[141] وسيبويه لا يعرضها أي بخفض الأرحام وعطفها على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض مع أنه لا يصح أن يُقال "مررتُ بك وزيدٍ" بل "مررت بك وبزيدٍ" أي أنه لابد في العطف على الضمير المجرور من إعادة حرف الجر[142]. وقد ذكر أبو جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن " وقد تكلم النحويون في ذلك في خفض (الأرحامِ) فأما البصريون فقال "رؤساؤهم هو لحن لا تحل القراءة به، أما الكوفيون فقالوا هو قبيح"[143]كما قال سيبويه "واعلم أن ناسًا من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون وإنك وزيد ذاهبان"[144]. ويرى كمال بشار – يبدو أنّه مع البصريين- كل حكم يجب للمعطوف عليه بالنظر إلى ما قبله لا بالنظر إلى نفسه يجب ثبوته للمعطوف إن أمكن فيه كما إذا لزم في المعطوف عليه بالنظر لأن قراءة حمزة تحتمل انجراره بتقدير الباء أي وبالإرحامِ[145] .

وكذلك في الآية ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُوْنَ فِيْ العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قِبْلِكَ وَالمقِيْمِيْنَ الصَّلاَةِ وَالمؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ﴾ النساء 162، وكان الخليل يجعلها منصوبة على المدح بتقدير (وَالمقِيْمِيْنَ الصَّلاَةِ) وجوّز السيرافي أن تكون مجرورة بالعطف على ما فيكون معناه (يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) بالمقيمين الصلاة أي بمذهبهم وبدينهم[146]، واضح علينا أنه تخريج بعيد في إخراج القاعدة. . ومثال الشاذ – ما اشتهر به جمهور المذهب البصرية من الإعتداد بالقراءات الشاذة- في الآية من قراءة أبي جعفر النحاس﴿لِيُجْزَىْ قَوْمًا بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾ الجاثية 14 أي جواز إقامة غير المفعول به مع وجوده نائب فاعل[147]. وفي باب الفصل بين المضاف والمضاف إليه سيبويه لا يجوّز عن ذلك إلا بالظرف وخصّ ذلك بالشعر ومن هنا ضعّف بعض البصريين قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيْرٍ مِنَ المشْرِكِيْنَ قَتْلُ

---

[140]حمدة عبدالله أبو شهاب، الجواز وعدمه في أحكام النحويين، دار الضياء، 2007، ص 76

[141]حمزة بن حبيب الزيات الكوفي من القراء السبع للقراءات السبع المتواتر (ت 158هـ)

[142]سيبويه، الكتاب، 403/2 ، ابن مالك الطّائي الجياني الشافعي، شرح الكافية الشافية، بيروت:دار الكتب العلمية، 2000، 310/1-311

[143]أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، بيروت: عالم الكتب، 2005م 39/1، 391

[144]سيبويه، الكتاب، 290/1

[145] كمال بشار، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، عمان: دار الفكر، 1994م، ص 161

[146]ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 3/2، 7-8

[147]ابن مالك الطّائي الجياني الشافعي، شرح الكافية الشافية، 272/1، شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 99

أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الأنعام 137، بنصب أولادَهم وخفض شركائِهم، وهو فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به لقتل، وجوّز ذلك الأخفش وتبعه الكوفيون[148] اعتماد على قول بعض الشعراء: *فزججتها بمزجّة * زجّ القلوص أبي مزاده* ، فصل الشاعر بين "زجّ" وأبي مزاده بكلمة "القلوص"، وهي مفعول به لـ "زجّ"[149]. وقال ابن يعيش هذا القول ضعيف جدا لم يصح نقله عن سيبويه بل أن ابن كيسان قد نقل عن بعض النحويين، أنه يجوز أن يفرق بين المضاف والمضاف إليه إذا جاز أن يسكت على الأول منهما لأنه يصير ما فرق بينهما كالسكتة التي تقع بينهما[150] .وفي باب زيادة الباء في الخبر الموجب مثل "زيد بقائم" أي "زيد بقائم" لم يكن جواز عند سيبويه بل الأخفش مستدلا بقول تعالى﴿وجَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها﴾ يونس 27 [151].

وفي باب عن إعمال "لات" في الآية ﴿وَلَاتَ حِيْنَ مَنَاصَ﴾ ص 3 رأى سيبويه أن "لات" تعمل عمل "ليس" إنّما بعضهم رأوا أنها غير عاملة[152]. وذكر السيوطي كان الجمهور لا يجوّز دخول لام الابتداء على خبر أن المفتوحة الهمزة وجوّزه المبرّد معتمدا على ما جاء في بعض القراءات كما في الآية ﴿ إلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُوْنَ ﴾ الفرقان 20، بفتح الهمزة وخرّج الجمهور ذلك على الزيادة أو على شذوذ القراءة[153]. وفي الحقيقة هذه الآية متعلقة بمسألة تدخل اللام على خبر (أن) المفتوحة ولكن جوّزه المبرد بالمفتوحة الهمزة في الآية كما أنشده الشاعر: *ألم تكن حَلفْتَ بالله العليّ * أنّ مطاياك لِمن خير*، ولكن خرجه الجمهور على الزيادة المطِيّ أو الشذوذ[154]. وفي الآية ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ﴾ سباء 40 والآية ﴿ وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوْا يَظْلِمُوْنَ﴾ الأعرف 177 كان ابن السراج يحتج بتقدم المعمول للخبر وكان يقول تقديم المعمول يؤذن بتقدم العامل، أي بمعنى جواز تقديم خبر كان ولو كان جملة وكذلك توسطه بينها وبين اسمها ولكن الجمهور منع ذلك[155]. وشرح ابن عقيل في شرحه عن ما ورد في ألفية ابن مالك[156] إذا ورد من لسان العرب ما ظاهره أنه وَلِيَ "كان" وأخواتها معمول خبرها فأوّله على أنَّ في "كان"ضميرًا مستترًا هو ضمير الشأن كما في الشعر: *قنافِذُ هدّاجونَ حولَ بُيُوتِهمْ * بما كان إيّاهمْ عطيّةُ عوّدَا*، أي حيث وَلِيَ كان معمول خبرها وهو ليس

---

[148]ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 44/3-45

[149]ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، د.ت. 22/3

[150]المصدر السابق، 23/3

[151]السيوطي، همع الهوامع، 127/1

[152]سيبويه، الكتاب، 102/1

[153]السيوطي، همع الهوامع، 446/1

[154]المصدر السابق، 446/1

[155]المصدر السابق، 118/1

[156]ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 220/1

بظرف ولا جار ومجرور جوازا عند الكوفيين. وفي باب العطف على التوهم في الآية ﴿ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِيْ إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبً فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ المنافقون 10، فقال الخليل وسيبويه أن (وَأَكُنْ) مجزوم بعطف على معنى (لَوْلاَ أَخَّرْتَنِيْ) أي تقديره إنْ أخَّرتني (أي الجملة الشرطية)[157]، ولكن السيرافي يذهب إلى أن (وَأَكُنْ) معطوفة على محل (فَأَصَّدَّقَ)[158] كما في قول تعالى﴿ودّوا لو تُدهِنُ فَيُدهنونَ﴾القلم 9 أي على معنى (أن تدهن)[159]. واستدل الفارس في قول تعالى ﴿إنّه مَنْ يتق ويصبرْ﴾ يونس 90، جزمًا على معنى (شبه مدخول الفاء بجواب الشرط ومَنْ الموصولة بالشرطية) وإذا وقع ذلك في القرآن عبر عنه بالعطف على المعنى لا التوهم أدبًا[160].

وفي باب القول في العطف على اسم "إنَّ" بالرفع قبل مجيء الخبر، يحتج الكوفيون بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِّيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصَّابِئُوْنَ وَالنَّصَارَى﴾ المائدة 69، وجه الدليل أنه عطف (الصَّابِئُوْنَ) على موضع "إنَّ" قبل تمام الخبر﴿مَنْ آمَنَ باللهِ واليوم الآخر﴾ المائدة 69 وقد جاء عن بعض العرب فيما رواه الثقات "إنَّك وزيد ذاهبان"[161]. وأما احتجاج البصريين على ثلاثة أوجه: الوجه الأول، في هذه الآية تقديم وتأخير والتقدير (إِنَّ الَّذِّيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِر فلا خوفٌ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَالصَّابِئُوْنَ وَالنَّصَارَى)كقول الشاعر: *غداةَ أحلّتْ لابن أصرمَ طعنةٌ * حُصينٍ عبيطاتِ السّدائف والخمرُ* . فرفع "الخمرُ" على الاستئناف، فالتقدير "والخمر كذلك" وقول الآخر: *وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يدعْ * من المالِ إلاّ مُسحتًا أو مُجَلَّفُ* فرفع "مجلف" على الاستئناف، أي التقدير "مُجَلَّفُ كذلك"[162]. الوجه الثاني، أن تجعل قوله تعالى ﴿ مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ المائدة 69 خبرًا للصابئين والنصارى، وتضمر (الَّذِّيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا) خبرًا مثل الذي أظهرت للصائبين والنصارى نحو "زيدٌ وعمرٌو قائم" فجعل "قائمًا" خبرًا لـ "عمرو"، وتضمر لـ "زيد" خبرًا آخر مثل الذي أظهرت لعمرو، وإن شئت أيضًا جعلته خبرًا لـ "زيد" وأضمرت لـ "عمرو" خبرًا آخر[163]، وقال الشاعر: *وإلاّ فاعلموا أنّا وانتمْ * بُغاةٌ، ما بقينا في شِقاقِ* "بغاة" خبرًا للثاني وأضمرت للأول خبرًا، ويكون التقدير: وإلا فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة، وإن شئت جعلته خبرًا للأول وأضمرت للثاني خبرًا[164]. والوجه الثالث، أن يكون عطفًا على المضمر المرفوع في "هادوا" و "هادوا" بمعنى "تابوا" لكن عدم الموافقة لدى

---

[157] السيوطي، همع الهوامع،197/3

[158] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، بيروت: المكتبة العصرية، 1999م ، ص 529

[159] السيوطي، همع الهوامع،197/3

[160] السيوطي، همع الهوامع،197/3

[161] الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 175/1-176

[162] المصدر السابق، 177/1

[163] المصدر السابق، 178/1

[164] المصدر السابق، 178/1

الأنباري لأن العطف على المضمر المرفوع قبيح وإن كان لازمًا للكوفيين لأن العطف على المضمر المرفوع عندهم ليس بقبيح[165]. وفي الآية ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ الأعرف 194. وقد قراء سعيد بن جبير بنصب كلمة (عبادًا) كما قال الشاعر: *إنْ هو مستوليًا على أحدٍ*[166]، وهي أن إنْ النافية إذا دخلت على الجملة الاسمية عملت ليس، فرُفِعَتْ الاسم ونُصِبَتْ الجر لا تعمل بل تُهمل، وكأن قراءة ابن جبير – في رأي كسائي– شاذة ولا يصح أن تتخذَ منها قاعدة. ومن هنا فهمنا أن الفراء كان يتابع سيبويه في في رأيه بينما كان يتابع المبرد البصري الكسائي فيما ارتاه من عملها[167].

وفي حذف رابط الخبر بالمبتدأ جوّز سيبويه وجماعة من العلماء حذف العائد على المبتدأ من الخبر فقد أجاز سيبويه (زيد ضربت، في الشعر)[168] إذا كانت خبرًا للمبتدأ في الشعر وهو غير ضعيف كما جاء بها المبرد وابن السراج مختصرة وواضحة مثال من قول المبرد (مررت ببرٍ قفيزٌ بدرهم) وقول ابن السراج (السمنُ منوان بدرهم) وقررا أنّ الحذف جائزان وتابع الفارسي وابن جني على نفس المثال والتقدير كما استدلال في قول تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الشورى 43، فقد قدر المحذوف بـ (إن ذلك الصبر منه) بأن (ذلك) ابتداء وقوله (لمن عزْمِ الأمور) في موضع الخبر ولا يوجد ضمير في الخبر ملفوظ يعود إلى المبتدأ[169]. وفي الآية ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُوْدٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِيْنِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيْدِ﴾ الكهف 18، فقد لاحظ الكسائي أن اسم الفاعل "باسط" مع أنه بمعنى الماضي في الآية، لأن يحكي قصة أهل الكهف، عمل النصب في كلمة ذراعيه، فوضع قاعدة عامة، هي أنه يعمل النصب بمعنى الماضي وبمعنى الحال والاستقبال، بينما كان يمنع البصريون عمله النصب فيما بعده على المفعولية وهو بمعنى الماضي، وتأولوا (باسط) في الآية على حكاية الحال الماضية، بدليل حكايتها بالمضارع في الفعل السابق (ونقلّبهم) وكأن التقدير (وكلبهم يبسط ذراعيه) غير أن الكسائي تمسك بالآية واتخذ منها قاعدة كلية مجوّزًا مثل (زيد معطٍ عمرًا أمس درهمًا). وتابعه في ذلك تلميذه هشام بينما ظل الفراء مع جمهور البصريين لا يجيز إعمال اسم الفاعل في المفعول به إذا كان بمعنى الماضي[170]. وقال تعالى ﴿ قُلْ لِعِبَادِيْ الَّذِيْنَ آمَنُوْا يُقِيْمُوْا الصَّلاَةَ﴾ إبراهيم 31، رأى البصريون أن الفعل المضارع مجزوم في جواب الأمر مثله في نحو "ائتني أكرمْك" بينما الكسائي رأى

---

[165] المصدر السابق، 179/1

[166] السيوطي، همع الهوامع،395/3

[167] ابن يعيش، شرح المفصل، 113/8، ابن هشام، مغني اللبيب، ص 19، السيوطي، همع الهوامع، 395/1

[168] أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، القاهرة: مكتبة الخنجي، 1998، 1119/3

[169] حمدة عبدالله أبوو شهاب، منهج تقرير مسائل النحو، ص 24

[170] ابن هشام، مغني اللبيب، ص770/2، السيوطي، همع الهوامع، 55/3

أن المضارع فيها محذوف النون، فقال إنما حذفت على تقدير لام الأمر واتخذ من ذلك قاعدة عامة، هي حذف لام الأمر من المضارع بشرط تقدم "قُل" كما في الآية، ووافقه ابن مالك في كتابه "شرح الكافية" كما في قول الشاعر:*قلت لبوّابٍ لديه دارُها * تاذن فإني حمؤُها وجارها*، أي لتاذن فحذف اللام وكسر حرف المضارعة[171].

وفي باب حذف الفاعل لم ترد هذه المسألة عند سيبويه والأخفش، ولكن منع حذف الفاعل عند المبرد وبن السراج وابن جني، واستدل المبرد بقول تعالى﴿إنّ الإنسانَ خُلق هلوعا﴾المعارج 19، وقول تعالى﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ النساء 28. وقال تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ الانشقاق 1، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِن المشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ﴾ التوبة 6،﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ النساء 176، وذهب الأخفش أن المرفوع بعد "إذا" و "إن" الشرطية مبتدأ وليس فاعلا لفعل محذوف كما ذهب إلى سيبويه وجمهور البصريين[172]. وقال تعالى ﴿كم من فئةٍ كثيرة بإذن الله﴾ ؟ البصريون ذهبوا إلى أن تمييز "كم" الخبرية مجرور دائمًا لو جاء منصوبًا شذوذًا، وذهب الفراء إلى أنه يجوز في تمييزهما جميعًا النصب والخبر بمن مضمرة[173]. كما في الشعر: ***كم عمّةً** لك يا جرير وخالةً * فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري*[174]. وقال تعالى ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوْسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ الأنعام 154، ذهب البصريون إلى أن الذي تكون دائمًا اسمًا موصولا[175]، بينما الفراء مع يونس إلى أنها قد تكون موصولا حرفيًا أو حرف موصول يريد أنها تكون مصدرية يقول تعليقًا على الآية السابقة "إن شئت جعلت الذي على معنى "ما" تريد "تماما على ما أحسن موسى" فيكون المعنى تمامًا على إحسانه" وتلا ذلك بتوجيه أنه يجوز أن تكون اسم موصول سواء قرئت (أحسنَ) بالنصب على أنها فعل والعائد محذوف أو قرئت بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير (الذي هو أحسن)[176].

---

[171] ابن هشام، مغني اللبيب، 251/1، سيبويه، الكتاب، 114/3

[172] ابن هشام، مغني اللبيب، 33/1 ، ابن يعيش، المفصل، 10/1

[173] ابن هشام، مغني اللبيب، 203/1، الشيوطي، همع الهوامع، 254/1

[174] الفراء، معاني القرآن، 168/1

[175] قال سيبويه "كما قرأ بعض الناس هذه قراءة الحسن والأعمش ويحي بن عمر وابن أبي إسحاق، الكتاب 103/1، وأيضا انظر معجم الراءات القرآنية 335/2والبحر المحيط 255/3.

[176] الفراء، معاني القرآن ، 365/1، السيوطي، همع والهوامع 83/1

الخاتمة

ومن الدراسة السابقة أدركنا أن القاعدة المستنبطة من الآيات القرآنية مختلفة في المنهج بين البصريين والكوفيين. فالكوفيون فتحوا باب الاحتجاج بالكلام العربي من كل القبائل ولا فضلوا لغة على لغة، ويختلف عن البصريين هم اختاروا ستة القبائل كالمصادر الأساسية لحصول على مادة صافية في لغة. ويرى بعض المحدثين منهم عبد العال[177] أن الكوفيين فكانوا أوسع أفقًا في مجال القرآن والاستشهاد به من البصريين فقبلوا كلّ ما جاء من القرآن الكريم. لو رجوع إلى حجج الأنباري في "الإنصاف" فوجدنا أن الكوفيين من أصحاب منطق وفلسفة يطعنون في بعض القراءات، وقد شاركوهم في التعليل والتأويل مما أخذه أصحاب التيسير على النحو القديم[178] كما قال السيوطي: إنما النحو قياس يتبع * وبه في كل أمر ينتفع[179]، وقد يرى مهدي المخزومي أن عمل الكسائي في ارتباط بين السماع والقياس لعله ناتج عن توسعهم في الرواية والنقل كما قوله "كان يقيس عليه، وأن لم يرد في كلام العرب غيره"[180] وأيّد الرضي هذا القول بقوله "والسماع مفقود"[181]. إذ ذلك، ما في الفرق بين منهج استنباط الكوفيين والبصريين في تقعيد النحو العربي كما ترى عفاف حسانين أن هناك "ليس خلاف كبير بين البصريين والكوفيين في احتجاجهم بالقراءات[182]، بل يرى سعيد جاسم الزبيدي "ليس هناك خلاف في أن القرآن الكريم أصل من أصول الدراسات اللغوية بمختلف فروعها، وكان يجب أن يبني كثير من قواعد النحو على شواهده بمختلف وجوه قراءاته المتواترة التي صح سندها، بدلا من الإعتذار بأن القراءة سنة لا يجوز التعرض لها بنقد أو تخطئة، وليتهم التزموا بهذا"وبعد ذلك أضاف "... ومع هذا كله نتابع – هنا – مدى تبني النحاة لقراءات القرآن، وجعلها أصلًا من أصولهم يقيسون عليه، سواء كانوا بصريين أم كوفيين"[183] .وهناك بعض السؤال إلى أي مدى صحة الروايات من القرآن الكريم؟ لإجابة هذا السؤال، كان د.خالد السعود فارس العصيمي[184] يرى أن منهج متأخري النحويين قبول القراءات كلها والاحتجاج للمسائل النحوية، وأضاف بذلك صاحب منجد المقرئيين يقول "فلا يجوز أن توصف قراءة باللحن أو الخطاء، لأن القاريء يقراء لا

---

[177] عبد العال، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، الكويت: مؤسسات علي الجراح الصباح، 1978م، ص 91

[178] سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، عمّان: دار الشروق، 1997م

ص 19، 73، 74، حسن منديل العكيلي، الخلاف النحوي في ضوء المحاولات التيسير الحديثة، ص 236

[179] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م ، ص 337

[180] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص 115

[181] الرضي، شرح الكافية لإبن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي:جامعة قاريونس، 1995م ، 41/1

[182] عفاف حسانين، في أدلة النحو ص 27 نقلا من سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص 82

[183] سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص 82

[184] خالد السعود فارس العصيمي، القراءات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار التدمريّة: المملكة العربية السعودية، 2002، ص 674

باجتهاده. وأما موقف المجمجع اللغوي فقد اعتمد على القرآن الكريم في الاستدلال لما درسه من مسائل[185]، وهناك القرار يقول "وورودها في القرآن بالفصل بلا ليس يمنع عملها، وكون ورودها في القرآن قراءة لا يمنع الاحتجاج به، فالقراءات المشهورة كلها مناط احتجاج"[186] وهذا الرأي يعاكس عن قول السيوطي "وقد ردّ المتأخرون – ومنهم ابن مالك– على مَن عاب عليهم ذلك بأبلغ رد، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية، وإن منعه الأكثرون، مستدلا"[187]. ومن النقاش السابق، أن الاحتجاج بالقرآن مقبول لأن القراءات المطروحة فيه مشهورةً أم متواترًا أم شاذًا، مهما هناك الخلاف أو الصراعات في استنباط الأحكام النحوية وقواعدها، حقيقةً هذه العملية – مما ترى الباحثة – هي العملية في تطوير فهم أساليب النقل وترتقي قدرة العقل والمنطق في تحصيل دقة المعاني والأساليب القرآنية دقةً سليمةً وعدم التشكك في سلامتها لأن الصراعات في الآراء لا تفسد العقل بل تنمّيه ويرتقى بها. والله أعلم بالصواب

[185]نفس المرجع، ص 674

[186]نفس المرجع، ص 676

[187]السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص 154

المصادر والمراجع

إبراهيم أنيس، طرق تنمية الألفاظ في اللغة، مصر: مطبعة نهضة جديدة، 1967م

ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، بيروت: دار الفكر، 1998م

ابن مالك الطّائي الجياني الشافعي، شرح الكافية الشافية، بيروت:دار الكتب العلمية، 2000

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، بيروت: المكتبة العصرية، 1999م

ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، بيروت: عالم الكتب، 2005م

أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ، 1993م

أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، القاهرة: مكتبة الخنجي، 1998

أحمد أمين، ضحى الإسلام، دي.بي.في: كوالا لومفور، 1978

الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1998م.

الأنباري، لمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط2، بيروت: دار الفكر، 1971م.

ت.ج.دي بور. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريرة القاهرة: جامعة القاهرة،1954م.

حسن منديل العكيلي، الخلاف النحوي في ضوء المحاولات التيسير الحديثة، أمان: دار الضياء، 2007م.

حمدة عبد الله أبو شهاب، الجواز وعدمه في أحكام النحويين من سيبويه حتى القرن الرابع الهجري، دار الضياء: عمان، 2007م

حمدة عبد الله أبو شهاب، منهج تقرير مسائل النحو من سيبويه حتى ابن جني، أمان: دار الضياء، 2007م.

خالد السعود فارس العصيمي، القراءات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار التدمريّة: المملكة العربية السعودية، 2002م

خديجة الحديثي، المدارس النحوية، الأردن: دار الأمل، 2001م

الرضى، الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية لإبن الحاجب، تحقيق ثلاثة من أساتذة الأزهر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975م.

الرضى، الاسترباذي، شرح الرضي على الكافية لإبن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس، 1995م.

الرضى، الاستراباذي، شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق ثلاثة من أساتذة الأزهر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975م.

الزبيدي، محمد ابن حسن، طبقات النحويين واللغويين، القاهرة: دار المعارف، 1984م

سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، عمّان: دار الشروق، 1997م

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة: دار الحديث، 2004م

السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق محمد حسن الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، ، ج1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م

السيوطي، همع الهوامع شرح الجميع الجوامع في علم العربية، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

صالحة حاج يعقوب، دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي، القاهرة: دار السلام، 2014

صالحة يعقوب، نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية، رسالة الدكتورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2005

ضيف، شوقي، المدارس النحوية، القاهرة: دار المعارف، 1995م

عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، الكويت: مؤسسات علي الجراح الصباح، 1978م.

عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي: حياته، ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو، جدة: دار المطبوعات الحديثة، 1989م

عمر أحمد مختار، معجم القراءات القرآنية، القاهرة: علم الكتب، 1997م.

الفراء، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.

كمال بشار، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، عمان: دار الفكر، 1994.

مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة النحو، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002م.

Journal of Arabic Language Specialized Research Vol. 1, No. 1, January 2015, 32-60



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

الاستلام: 2012/10/2 القبول: 2012/12/1 النشر: 2013/1/15

THE SEMANTIC FUNCTION OF SYNTHETIC SYNTHESES OF THE NOMINAL SENTENCE - AL-HADITH AL-QUDSI AS A MODEL

الوظيفة الدّلالية للمورفيمات التركيبيّة المؤكِّدة للجملة الاسميّة

الحديث القدسيّ أنموذجاً (دراسة تركيبيّة دلاليّة)

نبال نبيل نزال – علاء الدين أحمد الغرايبة

جامعة الزيتونة

الأردن

to.nibal@yahoo.com

ملخص

يسعى هذا البحث المعنون بـ(الوظيفة الدّلالية للمورفيمات التركيبيّة المؤكّدة للجملة الاسميّ – الحديث القدسيّ ً (دراسة تركيبيّة دلاليّة)؛ جاهدًا الكشف عن دلالة المورفيمات المؤكدة للجملة الاسمية من خلال رصد تلك ات ووصفها ثم تحليلها ضمن التراكيب الواردة فيه؛ مستنداً إلى فكرة أنه لا يمكن الفصل بين علمي التركيب .

فقد عمد البحث لتحقيق ذلك إلى مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني؛ للخروج معهما بدراسة نحوية لتركيب، كما تُعنى بالتحليل، فيما أطلق عليه الجرجاني نظرية (النظم)، وهو: توخي معاني النحو. ومنطلقاً – أي – من فكرة تشومسكي التي تفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، تربط بينهما علائق تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقية؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة، من المنهج الوصفي التحليلي سبيلاً لذلك.



Abstract

This study entitled The Semantic Function of Structural Morphemes Underlying the Nominal Sentence. The Qudsi (God attributed) Hadith as an example : (A structural – semantic study).

Endeavors to define the semantic value of morphemes that underline the nominal sentence by focusing on these morphemes, defining and analyzing them within the structures where they occur. This attitude emanates from the notion that both structuralism and semantics are indivisible.

The research seeks to achieve this aim by combining the feedbacks of syntax and semantics with a view to achieving a syntactic study concerned with structures as well as analysis, a thing described by Al-Jurjani as the theory of system, which means discovering the meaning of syntax. The research is also based on Chomsky's theory, which assumes the presence of two levels for the sentence, deep structures and surface structures which are joined by transformational relations that work to change one or more aspects of the deep structures to take it up to the surface structures that depict the final form of the sentence. The study has adopted a descriptive analytic approach to achieve this goal.

المقدمة:

لقد حولت اهتمامات تشومسكي الدرس اللغوي من وصف مظاهر السلوك اللغوي للمتحدثين وتحليله الى وصف نظام المعرفة العقلي الذي يكمن وراء هذا السلوك، فتطورت بذلك الأسس النظرية والمنهجية لعلم اللغة الحديث، من خلال رفضها معظم المبادئ والأسس التي نادت بها المدرسة الوصفية البنيوية رفضًا نابعًا من منطلقات فلسفية ومعرفية لغوية، مع عرضها بدائل من المبادئ والأسس النظرية والمنهجية للتحليل اللغوي الأكثر توفيقًا[i].

فبعد صدور كتاب تشومسكي (جوانب من نظرية النحو) وظهور مبادئ نظريته النموذجية ظهرت خلافات عميقة بين تشومسكي وزملائه حول استجلاء دور الدلالة في القواعد، وعمّا إذا كان لهذه الدلالة دور في تحديد البنية العميقة للجملة أو في كتابة القوانين النحوية؛ الأمر الذي أدى الى ظهور منهجين: أولهما: يمثله تشومسكي ومؤيدوه، عُرِف بـ (الدلالة التأويلية Interpretive Semantic)، ويرى أن التحويلات تغيّر من المعنى، وأن قوانين التأويل الدلالي يجب أن تعمل على مستوى العميقة ومستوى البنية السطحية للوصول الى التأويل الدلالي الصحيح. أما المنهج الآخر فيمثله المعارضون من تلامذة تشومسكي، ويرى هؤلاء أن التحويلات يجب أن لا تغيّر من المعنى، ويتصورون بُنى عميقة أكثر تجردًا وعمقًا من تلك التي تولدها لنا قوانين التركيب، فيما يعرف بـ (الدلالة التوليدية Generative semantic)[ii]

وتأسيسا على ما سبق؛ فإن تشومسكي يفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، وتربط بينهما علائق تحويلية تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقية؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة[iii].فـ(البنية العميقة Deep structure) عند تشومسكي هي البنية المجردة والضمنية التي تُحدد التفسير الدلالي، أو هي بنية شكلية ترتبط ارتباطا مباشرًا بالمعنى، وليس بالصوت[iv]. فهي بنية ضمنية في ذهن المتكلم أو المستمع ولا تظهر في الكلام، ويتم توليدها عن طريق قواعد الأساس في المكون التركيبي. أما البنية السطحية surface structure) فهي:" ترتيب الوحدات السطحي الذي يحدد التفسير الصوتي، والذي يرجع الى شكل الكلام العقلي الفيزيائي، والى شكله المقصود والمدرك"[v]. فهي بذلك تمثل شكل الكلام المنطوق وصوره المتمثلة في أصوات لغوية، إنها الناتج السطحي الصوتي المتشكل والمتحوّل عن البنية العميقة نتيجة لتطبيق قوانين تحويلية معينة، فهي ترتبط بالبنية العميقة عن طريق قواعد التحويل وقوانينه. فقواعد الأساس في المكون التركيبي تولّد البنية العميقة في ذهن المتكلم، ثم تقوم القواعد التحويلية بتحويل المكون التركيبي الى بنية سطحية منطوقة يتعامل بها المتكلم مع الآخرين.

لقد أصبح علم اللغة الحديث يولي الاهتمام الأكبر للجملة معطيا الأسبقية والامتياز الأكبر لميدان التركيب، فمناهج التحليل التي أدخلها علماء اللغة، وبصفة خاصة التوزيعية والتحليل بالمكونات المباشرة سمحت بوصف عميق للبنية التركيبية للغة، كما سمحت بتشكيل قضايا التركيب التقليدي من جديد، من مثل قضية الوظائف التركيبية[vi].

أما مصطلح المورفيم فهو مأخوذ من الكلمة اليونانية (morpheme)، بمعنى شكل أو صيغة، ويقابلها في الإنجليزية(morf) [vii]. وقد نشأ هذا المصطلح مع تحديد اتجاه اللسانيات البنيوية الذي أصبح اتجاها واضح المعالم والمبادئ. ويعدّ هذا المصطلح في الدراسات الحديثة الرديف المقابل لمفهوم الوحدة الصرفية، فهو صورة من صور المصطلح الغربي المراد

تطبيقه في الدراسات اللغوية على اللغة العربية، الأمر الذي دفع علماء اللغة المحدثين والوصفيين منهم على وجه التحديد إلى إطلاق مصطلح(مورفيم) على المصطلحات التقليدية نحو: الجذر، والأصل، والنهايات التصريفية[viii]، وعرفوه بأنه أصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب[ix]. وقد أصرّ عدد من الباحثين المحدثين بوجوب تسمية المصطلح على غرار المصطلحات الأجنبية الأخرى، فأية محاولة لتعريبه تعدّ مسخًا له[x]. فهو مصطلح عالمي —كما يرى أحمد مختار عمر– قد أقرّه المجمع اللغوي، وقد أدخلوه في حظيرة الكلمات العربية[xi]. فهم وإن اختلفوا في تعريب (مورفيم)؛ وقد ذهبوا فيه مذاهب شتى تبعا للثقافات المختلفة، إذ استخدم بعضهم مصطلحات خاصة هي عبارة عن جهد شخصي وتأويل فردي[xii]. إلا أنّ الشائع في استخدامه هو مصطلح (مورفيم)؛ ولهذا فقد ارتضى هذا البحث استخدامه.

ويختص المورفيم في دخوله على الاسم والفعل سواء أكان ذلك في دخوله على الأصل(الجذر)، أو بما يلصق بهما، كقولنا من كتب:(كتبت، واكتبي، وكاتب وكاتبون، وكتّاب، وكاتبات،...إلخ). فـ(يكتبون) —مثلا – فعل قد أُلحِق بمورفيم (ون) للدلالة على الجمع. و(كاتبان) اسم قد أُلحِق به مورفيم (الألف والنون) للدلالة على النوع والعدد. أم كان ذلك متمثلا بالحركات التي تلحق الأفعال والأسماء التي تنتج من التغييرات الحركية في البنية العربية حال تعرضها لأي باب من أبواب الصرف[xiii].

وتعدّ الأدوات المؤكِدة الداخلة على الجملة الاسمية من المورفيمات التي تعطي دلالة مقصودة، منتزعة من درس لغوي عام هو (التوكيد). وقد تمايزت دراسة مبحث (التوكيد) عند النحويين والبلاغيين، فالتوكيد عند نحاة العربية من التوابع، أي يتبع ما قبله إعراباً. يقول صاحب الألفية[xiv]:

يَتْبَعُ في الإِعْرابِ الأَسْماء الأَولْ　　　　نَعْتٌ، وتَوْكِيدٌ، وعَطْفٌ، وبَدَلْ

فدرسوه وفق الشكل البنائي للجملة، وتبعاً لنظرية العامل. أما البلاغيون فانصبّ اهتمامهم على المعنى والدلالة، إذ وضعوا التوكيد من أضرب الخبر، استناداً إلى ظنّ المخاطَب أو المتلقّي عند توجيه الرسالة أو الخطاب إليه، فإذا كان خالي الذهن، أو مصدّقاً غير مُنكِر، أو غير شاكّ، أو غير متردّد، فيكون الخطاب أو الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطَب متمكّن من نفسه، فلا حاجة للتوكيد. وإذا كان المخاطَب شكّاً متردّداً قلقاً غير واثق مما يُقال له فالحاجة للتوكيد مستحسنة؛ لصرف الشكّ عن قلبه، وإبعاد التردّد عن خوالج نفسه. أما إذا كان المخاطَب مُنكِراً جاحداً غير مُؤمِن فيما يُذكَر فلابدّ لزيادة التوكيد بأكثر من عنصر؛ لقبول الخبر الملقى عليه، وإزالة ما علق في نفسه من شكوك، وإماطة ما خالجه من شبهات[xv]

وعليه؛ فللتوكيد أساليب منها[xvi]: التوكيد اللفظي؛ أي بتكرار اللفظة المراد توكيدها. والتوكيد المعنوي؛ وذلك بإعادة المؤكّد بألفاظ أخرى، نحو: عين، كلّ، جميع... والتوكيد بالمورفيمات المؤكدة؛ مثل: (إنّ، وأنّ)، و(لكنّ)، و(اللام)، و(ألفاظ القسم)، و(قد)... والتوكيد بأسلوب القصر؛ بدخول (إنما) و(النفي والاستثناء) وغيرها... ولكلّ أسلوب دلالاته المستهدِفة، وفق الرسالة أو الخبر المراد إيصاله لذهن المتلقّي، ولحالته النفسية. وسيقف البحث عند ما يُناط بالجملة الاسمية فحسب في الأحاديث القدسيّة مُفصّلاً، وهي المادة التطبيقية للدراسة.

أولاً: التوكيد بمورفيمات التوكيد

تدخل مورفيمات التوكيد (إنّ)، و(إنّ واللام)، و(أنّ)، و(لكنّ) على الجمل فتحولها من صورتها الخبرية العميقة إلى صورة أخرى سطحية مفادها التوكيد؛ وذلك أن عملية التحويل هذه أنتجت جملاً بسيطة مؤكدة؛ حملت في طياتها دلالات أخرى، يمكن أن نستقرئها من خلال السياقات القدسية، كالترغيب والترهيب والإنكار والتقرير... وغيرها من الدلالات التي استخدمها الخطاب القدسي؛ لتتواءم مع نفسية المتلقي أو المخاطَب، فتارة يدخل مورفيم واحد، وتارة أخرى يدخل مورفيمان، وأحياناً ثلاثة إلى السياق القدسيّ؛ تبعاً لحالة المخاطَب كما ذكرنا آنفاً.

1) التوكيد بالمورفيم (إنّ)

ذهب علماء العربية [xvii] إلى أن المورفيم (إنّ) يختص بالدخول على الجملة الاسمية، وله الصدارة في الكلام؛ لأنه لا يباشر إلا المبتدأ، ويستعمل للدلالة على توكيد مضمون الجملة، إذا تطلب المقام الخطابي ذلك، ، «وتنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية تلقى على سمع مَنْ هو على درجة من التردد في تقبل الخبر» [xviii].

اتصالات (إنّ) تتنوع وفق الأغراض البلاغية المناطة بها، فتتصل أحياناً بالضمير، وأحياناً أخرى بالاسم. ومن خلال تتبع جمل الأحاديث القدسية فقد تبيّن ما يلي:

(أ) المورفيم (إنّ) المتّصل بالضمير:

تباينت الضمائر المتصلة (بأنّ) في سياقات الأحاديث القدسية، مع: (ي)، و(نا) المتكلمين، و: (ه)، (ها)، (هن)، (هم) للغائبين، و: (كَ)، و(كم) للمخاطبين، لترتسم البنية السطحية المحوّلة عن البنية العميقة في عملية التأكيد، والغرض من الرسالة المرسلة إلى من يُشار إليهم لا غيرهم، وجاءت الضمائر تلكم لتؤلف بين ما تصدرت به الجملة بدخول المورفيم الدال على التأكيد (إنّ) بالخبر المراد إيصاله، فلولاها لما سبك الكلام، ولما ائتلف تركيب الجملة المحولة، ومنها ما نسوقه في الآتي:

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ي):**

ومن شواهده في الأحاديث القدسية قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-:

«إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً دَعا جِبْريلُ–عليهِ السّلام– فقال: إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، قالَ: فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، ثمَّ يُنادي في السَّماءِ فَيَقولُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، قال: ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ القَبولُ في الأَرْضِ، و إذا أبْغَضَ اللهُ عَبْداً، دَعا جِبْريلُ، فيقولُ: إنّي أَبْغَضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبغِضْهُ جِبريلُ، ثمَّ يُنادي في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاناً، فَأَ[غضوهُ، قال/ فَيُبْغِضونِهُ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ البَغضاءُ في الأَرْضِ» [xix]. وعليه؛ فإن الجمل الشاهدة في الحديث القدسي السابق هي:

- «إنّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ»جملة سطحية ←--- (أنا محبّ فلاناً فأحبّه) جملة عميقة
- «إنّي قَدْ بَغَضْتُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ» جملة سطحية←--- (أنا مبغضٌ فلاناً فأبغضْه) جملة عميقة

كما ورد المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ي) في حديث قدسي آخر: (يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي)، وتحليله:

- «عبادي: إنّي حَرّمْتُ الظُّلمَ عَلى نَفْسي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحَرَّماً، فلا تَظالَموا»[xx] جملة سطحية ←--- (أنا محرّم الظلمَ...) جملة عميقة.

وجاء المورفيم (إنّ) متصلاً بالمورفيم (ي) في حديث (فضل الذكر) لأولئك المؤمنين الذين تتنزّل عليهم الملائكة، فيسألهم ربّ العزّة عن أحوالهم، وماذا يطلبون، ومم يتعوّذون، فيُقال: يطلبون الجنة، ويتعوّذون من النار، فيقول جلّ علاهُ:

- «إنّي أُشْهِدُكُمْ أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُم»[xxi] جملة سطحية ←--- (أنا مُشهِدكم...). جملة عميقة

إن التراكيب البنيوية العميقة السابقة تتجه قبل عملية التحويل والزيادة إلى الإخبار عن أمور قد تجعل المتلقي يشك في درجة صحتها، وهي: محبة الله لعبد ما، أو بغضه له، وتحريم الظلم على الله وعلى عباده، وإشهاد الخلق بالمغفرة لهم؛ فحينئذ تتساءل نفس المتكلم: كيف لله تعالى أن يحب فلاناً أو يبغضه، وهو الذي خلقه؟ وكيف يُحرّم الظلم، والإنسان يظلم، ويكرر الظلم؟ وكيف يغفر الله ذنوب المسيئين؟

لكي تحقق الرسائل مضمونها للمتلقي، وهي: الترغيب والترهيب والإنذار، فقد تصدرت هذه الأخبار بـ(إن)، وضمير المتكلم (أنا) الذي حوّل إلى (ني)؛ ليؤكد أن مصدر الخبر هو الذات الإلهية لا غيرها، ويبعد عن المتلقي أدنى شكّ في صحة الخبر.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (نا):**

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-:

- «إنّا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي...» جملة سطحية ←--- (نحن سمعنا منادياً...) جملة عميقة

إن خبر سماع المنادي يوم البعث –على لسان الأشهاد الذين ينادي عليهم المنادي؛ حتى يلحق كل فريق بما كانوا يعبدونه في دنياهم- :«إنّا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي، لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بما كانوا يَعْبُدونَ»[xxii] فجاء على لسان المتكلمين (نحن) المحولة إلى (نا)، ؛ لتدعم الخبر بأننا جميعاً الذين سمعوا، ولم يُستثنَ منا أحد، ولتقوية الخبر في ذهن المتلقي جاء المورفيم (إن)؛ لكي لا يدع مجالاً للشك في مثل هذا الخبر، فلو كانت الجملة على ما هي عليه في بنيتها العميقة: (نحن سامعون منادياً) لما أدت وظيفتها الدلالية في تثبيت الخبر وتقويته وتأكيده، كما أدّتها الجملة السطحية بوجود (إن).

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (الهاء):**

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-:

- «إنّه كان توّاباً»[xxiii] جملة سطحية ←--- (هو توّاب) جملة عميقة
- «إنَّهُ قَدْ نَهاني عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»[xxiv] جملة سطحية ←--- (هو ناهيني...) جملة عميقة

نلمس دلالة الترغيب والتحبب من الخبر المرسل :«إنّه كان توّاباً» في السياق القدسي على لسان خير البشرية محمد صلوات الله عليه الذي كان يُكثر من التسبيح والاستغفار، فسُئل عن السبب، فأجاب بأن الله أخبره بأنه سيرى علامة في أمته، فإذا رآها عليه أن يُكثر منهما؛ أي التسبيح والاستغفار، وقد رآها في سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[xxv].كما نلمس في قوله: (كان تواباً) الفعل الدّال على الاستمرارية في قبول التوبة مقابل الكمّ الهائل من المعاصي، وقد دخل الضمير- ضمير الشأن- (ـهُ) المحول عن

(هو)؛ ليشير إلى الذات الإلهية في الجملة العميقة: (كان تواباً)، وقد التحم مع المورفيم (إنّ)؛ لينبني تركيب الجملة السطحية على النحو الآتي: «إنّه كان توّاباً»؛ فأنزل المتلقي هنا مقام السائل الذي يسأل عن التوبة بعد عمل الذنب: أيقبل الله توبتي، بعد ضلالتي؟ فكان الجواب مع دخول (إنّ)، وضمير الشأن الذي يسبك المورفيم المؤكد قبله مع الخبر بعده؛ ليدفع التردد عن المتلقي في طلب الاستتواب الدائم.

أما قوله: «إِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»[xxvi]فقد جاء القول على لسان آدم –عليه السلام– في حديث الشفاعة، ردّاً على الذين أتوه يوم القيامة طالبين شفاعته، فردّهم، وطلب منهم الذهاب إلى غيره من الشفعاء؛ لاعتقاده بأنّ الله عز وجلّ قد غضب غضباً لم يغضب قَبْلَهُ مِثْله، وهو قد اقترف ذنباً قد لا يغفر، لذا قال : « إِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسي، نَفْسي، نَفْسي».[xxvii] تكشف الرسالة عن الإقرار بالمعصية بعد النهي عن أكل الشجرة، واعتراف آدم– عليه السلام– بأنّ مَنْ نهاه عن الشجرة هو الله ذاته، فجاءت رسالة المتكلم مستخدمة توكيدات متتالية، أولهما ما تصدر الكلام به بـ(إنّ) الدالة على التوكيد، وثانيهما ضمير الشأن(ـهُ) المحول عن (هو)، والثالث دخول (قدْ) على الفعل الماضي الدالة على تحقيق الأمر.

إننا لو أمعنا النظر في الجملة العميقة قبل عملية التحويل في حالتها الأولى، أي قبل دخول الزيادة إليها:(الله ناهيني عن الشجرة)؛ لتبيّن أنها تحوي مضمون التأكيد على دلالة الرسالة بالجملة الاسمية، وزاد في توكيدها وجود التوكيدات المتعاقبة في بنيتها، لا سيما دخول (إنّ)؛ فدخولها دفع الجملة إلى تحويلها من دلالة خبرية اعتيادية إلى دلالة تأكيدية، أفادت الإقرار بالنهي القطعي.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ها)**

ومن الشواهد على مثل هذا التركيب قوله —صلى الله عليه وسلم–:

- «إِنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدان»[xxviii]جملة سطحية ←--- (هي مثل شوك السعدان) جملة عميقة
- و«...فإِنَّها تَحِيَّتُكَ، وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ...» [xxix]جملة سطحية ←--- (هي تحيّتك) جملة عميقة

احتوت كلّ جملة سطحية مما سبق ذكره على تأكيديْن، هما:(إنّ)، و(ها) ضمير الشأن المحوّل عن (هي)، وهما رسالتان أفادت أولاهما: التحذير والتخويف من كلاليب جهنّم التي تشبه نوعاً من الأشواك الكريهة، يقال لها شوك السعدان. وأفادت الأخرى الترغيب في نشر التحية، وهي: السلام عليكم ورحمة الله، في الحديث القدسيّ: «خَلَقَ اللهُ آدمَ على صورته، طولُهُ ستّونَ ذراعاً، فلمّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلّم على أولئكَ النَّفَرِ من الملائكةِ، جُلوسٌ، فاسْتمِعْ ما يُحَيّونكَ، فإِنَّها تَحِيَّتُكَ، وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عليكُم، فقالوا: السلامُ عليكُم ورَحْمة الله، فزادوه (ورَحْمة الله)...» [xxx]. فلو جاءتا بالتركيب العميق قبل التحويل، وقبل دخول(إنّ)، و(ها) لأفادتا الإخبار فحسب عن:(الكلاليب مثل الشوك) في الجملة الأولى، و(هي تحيّتكَ) في الجملة الثانية؛ ولما أفادتا الغرض من وراء الرسالتين، فأنزلت المتلقّي مقام المتردد في قبول أو تصديق فحواهما؛ لذا ألزمت المخاطِب باستخدام (إنّ) لتأكيد الخبرين المطلوبين.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (هم):**

أما الأمثلة على هذا التركيب فقوله –صلى الله عليه وسلم–:

– «...فإِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها»[xxxi] جملة سطحية ←--- (هم لا يموتون/ أحياء) جملة عميقة

– «يا محمّدُ، إِنَّهُنَّ صَلَواتٌ خَمْس، كُلّ يوْمٍ وليْلَةٍ...» [xxxii]←---(هنّ صلوات خمس) جملة عميقة.

إننا لو عقدنا المقارنة بين الجملتين: العميقة، والمحولة عنها في التركيبيْن المتقابلين الآنفيْن الذكر؛ لتبين أن الجملة العميقة في واقعها الخبري لا تفيد مضمون الخطاب المقصود، ذلك أن وقْع الخبر في الجملة العميقة: (هم لا يموتون فيها) يفيد أنهم أحياء ليس إلا، فهي تنفي عنهم فعل الموت، جملة إخبارية، بينما ظهرت الدلالة المقصودة من وراء الجملة السطحية: «إِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها»، وهي الوعيد والتحذير اللذان سيقابلا أولئكم، فلا موت في الدار الآخرة؛ لذا عليهم أن يحذروا فثمة ما يوعدون، في السياق القدسي: «أَمّا أَهْلُ النّارِ الذينَ هُمْ أَهْلُها، فإِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها، ولا يَحْيَوْنَ... »[xxxiii]، فهذا التحويل الملموس من الدلالة الإخبارية إلى الدلالة الوعيدية ساقه وجود المورفيم المؤَكِّد (إنّ)، وعضده ضمير الشأن (هم).

أما قوله –عليه الصلاة والسلام–:«إِنَّهُنَّ صَلَواتٌ خَمْس» فهي جملة سطحية محولة عن (هنّ صلوات خمس)، وقد ألقت الجملة العميقة خطابها بحقيقة ثابتة للعيان، أما دخول المورفيم (إنّ) على الجملة بعد التحويل والزيادة؛ فلاعتبار أن المتلقي شاكّ في حقيقة عدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، فأرادت الرسالة إيصال خبر مؤكد، لا ريب فيه.

ومن أمثلته كذلك قوله –صلى الله عليه السلام–:

– «إِنَّكَ لا تُظْلَم...» [xxxiv]جملة سطحية←--- (لا تُظلم) جملة عميقة

– «إِنّكُمْ تُخْطِئونَ بالليْلِ والنَّهارِ»[xxxv]جملة سطحية←--- (أنتم تخطئون) جملة عميقة

«إِنّكُمْ تُحشرونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»[xxxvi]جملة سطحية ←---(أنتم تحشرون) جملة عميقة

يكشف المشهد الأول عن محاسبة الله للعبد، ومدّ سجلاته أمامه، واعتراف العبد بما اقترف، فيسأله المولى–عزّ علاه–: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقولُ: لا ياربِّ، فيقولُ: بَلى، إنَّ لَكَ حَسَنَةً، فإِنّهُ لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخرَجُ بِطاقةٌ، فيها أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأَشهَدُ أنَّ محمّداً عبْدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: أَحضُر وَزْنَكَ، فيقول: يا ربِّ، ما هذهِ البِطاقةُ معَ هذه السّجِلاتِ؟ فقال: إِنَّكَ لا تُظْلَم، فقال: فَتوْضَعُ السجلاتُ في كَفّةٍ، والبطاقَةُ في كَفّةٍ، فطاشَتْ السّجِلاتُ، وثَقُلَتْ البِطاقة، فلا يُثقلُ مع اسْمِ اللهِ أَحَد»[xxxvii]. فبعد السؤال والحوار يأتي الجواب بالجملة السطحية المؤكدة بـ: «إِنّكَ لا تُظْلَم»

وفي قوله: «يا عبادي، إِنّكُمْ تُخْطِئونَ بالليْلِ والنَّهارِ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوب جميعاً، فاسْتَغْفِروني، أَغْفِرُ لكُم»[xxxviii] يكشف المشهد عن تأكيد الله تعالى لعباده.

في حين جاء الحديث القدسي الثاني: «إِنّكُمْ تُخْطِئونَ بالليْلِ والنَّهارِ» في الحشر وأهواله:«إِنّكُمْ تُحشرونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»[xxxix] ؛ ولتصوير مشاهد يوم القيامة.

إن هذه الدلالات المثبوثة: الطمأنة بعدم الظلم، وإقرار حقيقة البشرية الخطّاءة ليل نهارَ، وحشر الناس في ذلكم اليوم العصيب حفاة عراة، وردت في إخبارات قد تدفع بنفس المتلقي إلى الشك في رسالة المتكلم، وعدم اليقين من صحة الخبر، أو التردّد في تصديق رسالته؛ لذلكم فإن المرسِل أحدث تحويلاً في البنية التركيبية للجملة العميقة، فاستخدم مورفيم التوكيد (إنّ) لتحويلها

إلى البنية السطحية؛ وذلك تدعيماً لمضمون رسالته، وقطعاً عن المتلقّى أدنى شكّ في تحقيق الغرض الدلاليّ لرسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد الطمأنة أو المراقبة أو الوعيد.

وعليه؛ كان لا بدّ من وسيلة تنتزع الشكوك من نفس المتلقي؛ حتى يتمّ تحقيق مقصد الرسالة، ودلالتها البيانية، وقِران (إنّ) بضميري الخطاب (ك) المحوّلة عن (أنتَ)، و(كم) المحوّلة عن (أنتم)، لتلتحم عناصر الجملة بأنّ مع الخبر وليزيد التأكيد على مضمون الرسالة بأن الخطاب لك أنت لا غيرك، ولكم أنتم لا غيركم.

(ب) المورفيم (إنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

يدخل المورفيم (إنّ) على الاسم[xl] في سياقات قدسية كثيرة، منها:

- «إنَّ بَيْنَ يَدَي السّاعَةِ دَجّالينَ كَذّابينَ، قَريباً مِنْ ثلاثينَ، كُلُّهُمْ يَزْعمُ أنَّهُ نَبِيّ»[xli] ←--- (دجالون كذابين بين يدي الساعة كلّهم يزعم أنه نبيّ) جملة عميقة

وذلكم في معرض الحديث عن الفتن التي تلحق الناس في آخر الزمان، قُبيل القيامة، ومنها ظهور الدجالين، وعددهم قرابة ثلاثين، يزعمون أنهم أنبياء.

- «إنَّ لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ... هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ»(أي من موسى عليه السلام) [xlii]جملة سطحية--- ←(عبد لي هو أعلم منكَ) جملة عميقة

طلب المولى عزّ علاه من موسى –عليه السلام– أن يذهب إلى مجمع البحرين، ويلتقي بمن هو أعلم منه؛ وذلك تأنيباً وتأديباً للنبيّ بادعائه أنه هو أعلم مَنْ في الأرض، عندما سأله أحد بني إسرائيل عن أعلم أهل الأرض.

- «إنَّ مَعَ الدَّجّالِ إذا خَرَجَ ماءً وَناراً... »[xliii]جملة سطحية ←---(خروج ماء ونار مع ظهور الدجال) جملة عميقة

ظهور الدجال علامة من علامات الساعة، وكان الحديث في معرض تنبيه الناس إلى خروج الدجال وبين يديه الماء والنار، وتكملة الحديث: «فأمّا الذي يَرى الناسُ أنّها النارُ، فَماءُ بارِدٌ، وأمّا الذي يَرى الناسُ أنّها ماءٌ بارِدٌ، فنارٌ تَحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ في الذي يَرى أَنها نارٌ، فَإِنّهُ عُذْبٌ بارِدٌ»[xliv]

- «إنّ أَوَّلَ ما يُحاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ صَلاتُهُ...» [xlv]جملة سطحية <----(أول الحساب... الصلاة) جملة عميقة

تنبيه إلى منزلة الصلاة، فإن صلحت فنجح ونجى وأفلح، وإن فسدت خاب وخسر، فهي من أهم عبادات وأعمال البشر، وهي أول عمل يحاسب العبد عليها من أعماله.

- «إنّ عَدُوَّ اللهِ إبْليسَ لما عَلِمَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجابَ دُعائي وَغَفَرَ لأُمَّتي، أَخَذَ التُّرابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلى رَأْسِهِ، وَيَدْعو بِالوَيْلِ والثُّبورِ، فَأَضْحَكَني ما رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ»[xlvi] جملة سطحية ←---(عدو الله إبليس آخذ التراب، حاثٍ رأسه...) جملة عميقة

عشية عرفة دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتقعاً بأن يُغفر لأمة محمد –صلوات الله عليه– فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكه في ذلك، فأجابهم مؤكّداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر.

- «إنَّ نَبِيّاً مِنَ الأنْبِياءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ...» [xlvii]جملة سطحية ←--- (نبيّ قرصته نملة) جملة عميقة

في هذا الحديث استنكار وعتاب من الله تعالى إلى النبي المتأذّي من قرصة نملة، دفعته إلى إحراق قرية نمل عن بكرة أبيها، فأوحى الله إلى ذلكم النبي قائلاً: «أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟»[xlviii]

- «إنَّ الكافِرَ إذا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»[xlix]جملة سطحية ←---(الكافر كاره لقاء الله...) جملة عميقة

ثمة تبشير من الودود تعالى إلى أولئكم الذين استعدوا للقائه، وأحبّوه، فكان الجزاء من جنس العمل، بأن أحبّ الله لقاءهم كذلك، بالمقابل ثمة تبشير تهكّميّ لأولئك الذين كرهوا لقاء خالقهم، ولم يستعدوا له، بل كانوا يتجاهلونه، فكانت النتيجة المماثلة، بأن ربّ العزة والجبروت قد صرفهم عن محبته، فهم ليسوا أهلاً لها، ولا جديرين باستحقاقها.

المؤكّدات في الجمل السطحية المحولة في السياقات آنفة الذكر هي: دجّالون، عبد، وماء ونار، وعدو الله إبليس، ونبيّ، والكافر، وهي عناصر تركيبية قد أُخبر عنها بأخبار تحتاج إلى تأكيد لها، فلو تأملنا السياقات قبل التحويل في الجمل العميقة المقابلة للجمل السطحية لفُهم منها أن أخبارها ليست حقائق مطلقة في ذهن المتلقّي، فالزعم بالنبوة، ووجود عبد أكثر علماً من موسى النبيّ، وظهور الدجال بخروج الماء والنار في آخر الزمان، وحثي إبليس التراب على رأسه، وأول محاسبة العبد صلاته، وقرص النملة لنبيّ من الأنبياء دفعته إلى حرق قريتها، وكراهية الكافر ملاقاة ربّه، أخبار تدفع بالمتلقي إلى الظنّ بصدقها، والتشكيك فيها، وأن المخاطِب له هدف لرسالته في إيصاله، فجرت عملية التحويل والزيادة بدخول المورفيم (إن)؛ لتأكيد ما ورد في هذه الإخبارات، وتثبيت الدلالات المقصودة التي تتضح من السياقات في الجمل السطحية، وهي: التعليل، والحصر، والتنبيه، واستبعاد غرابة الخبر، والتأكيد على الاستنكار والعتاب، والتهكم والتجاهل.

(ج)التوكيد بالمورفيمَيْنِ (إنّ) و(اللام):

ورد عند أغلب نحاة العربية أن (اللام) تستعمل للدلالة على التوكيد، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك[l]، وإن تعددت تسمياتها[li]، وقابل النحاة والمفسرون بين (اللام) و(الباء) الدالتين على التوكيد، بقول الرماني: « ف(الباء) بإزاء (اللام)، و(ما)

بإزاء (إن)» [lii]. ويرى صاحب البرهان أن «(الباء) في خبر (ما) و(ليس) للدلالة على تأكيد النفي، و(اللام) للدلالة على تأكيد الإيجاب.» [liii]نحو ما جاء في قوله عز وعلا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[liv] توكيداً على الإثبات، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[lv] توكيداً على النفي. فـ(اللام) تؤكد الجزء الذي تدخل عليه، وتلتصق به، مبتدأً كان أو خبراً[lvi]، فإذا أكدنا واحداً من هذين الجزأين أكدنا مضمون الجملة؛ لأن التوكيد تقوية الإسناد بين الركنين. ويرى الجرجاني[lvii]أنه إذا كان المتلقي منكِراً لما يقال له؛ فإن الحاجة إلى التوكيد أشدّ؛ لأنّه أحوج إلى الزيادة في تثبيت الخبر. وقد ثبت وجود المورفيمين المؤكدين (إن) و(اللام) في أمثلة كثيرة من الجمل القدسية نأخذ على سبيل التمثيل قوله –صلوات الله عليه-:

- «إنَّ هَذِهِ لَساعَةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكَ فيها، فما الذي أَضْحَكَكَ؟»[lviii]جملة سطحية ←--- (هذه ساعة ما تضحك فيها) جملة عميقة

هو مشهد يكشف عن تعجّب الصحابة واستغرابهم من ضحك الرسول –صلى الله عليه وسلم- في وقت لاداعي فيه إلى الضحك، ولا من عادة النبيّ أن يضحك إلا لمناسبة.

- ومنه قوله –عليه الصلاة والسلام-: «إنَّ السِّقْطَ لَيُراغِم[lix]رَبَّهُ إذا أَدْخَلَ أَبَوَيْهِ النّار...» [lx]جملة سطحية--- ← (السقط يراغم ربّه) جملة عميقة

وهو في باب من جاء فيمن أصيب بسقط، فيقال له: «أَيُّها السَّقْطُ المراغِمُ رَبَّهُ أَدْخل أَبَوَيْكَ الجَنَّةَ، فَيَجُرُّهُما بِسَرَرِهِ حَتّى يُدْخِلَهُما الجَنَّةَ»[lxi]

- ومنه قوله –عليه الصلاة والسلام-: «إنَّ اللهَ لَيَسْأَلُ العَبْدَ يَوْمَ القِيامَةِ حَتّى يَقول: ما مَنَعَكَ إذا رَأَيْتَ المنْكَرَ أنْ تُنْكِرَهُ؟»[lxii] جملة سطحية←---جملة عميقة

وفيه محاسبة الله عبده بتوجيه السؤال منه عزّ وجلّ إلى العبد من غير وسائط، عن الامتناع عن إنكار المنكر في الدنيا، ليردّ العبد في قوله: «ياربّ، رَجَوْتُكَ وَفَرَقْتُ الناس-أي خفت الناس»[lxiii]

- ومثاله قوله –عليه السلام-: «إنّي لأَرْجو أَنْ تَكونوا (أي أمّة محمد عليه السلام) رُبعَ أَهْلِ الجَنَّةِ... ثُلثَ أَهْلِ الجَنَةِ...شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ»[lxiv]«نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ»[lxv] جملة سطحية←---(أرجو كونكم ربع أو ثلث أو نصف أهل الجنة) جملة عميقة

وهو كلام يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج من ذريتك بَعْثاً إلى النار؛ أي واحد من كلّ ألف، أو تسعمائة وتسعة وتسعين، فرجا الرسول محمد –صلوات الله عليه- أن تكون أمته ربع أهل الجنة أو ثلثها أو شطرها أو نصفها.

- ومنه قوله: «إنّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النّارِ خُروجاً مِنْها، وآخِرَ أَهْلِ الجَنّةِ دُخولاً الجَنَّة...» [lxvi]جملة سطحية--- ← (أنا أعلم...) جملة عميقة

وهو حديث عن علم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بآخر أهل النار خروجاً، وآخر أهل الجنة دخولاً.

لقد ساق المورفيمان المؤكدان (إن) و(اللام) الجمل السطحية بعد عملية التحويل إلى دلالات مختلفة عن تلك الدلالة الخبرية في جملها العميقة، فالتعجب في الحديث الأول بدا جليّاً من ضحك الرسول –صلى الله عليه وسلّم– في ساعة ليست ساعة ضحك، ودلالة التوبيخ ملموسة من مراغمة السقط ربّه في الحديث الثاني، ثم ارتسمت دلالة التقرير في توجيه السؤال المباشر من الخالق لعبده، عن عدم منع المنكر وقت رؤيته في الحديث الثالث، أما دلالة الرجاء فاتّضحت من تمني محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن تكون أمته ربع أهل الجنة أو ثلثها أو نصفها مقابل جميع أمم الأنبياء التي سبقته في الحديث الرابع، ويفصح الحديث الخامس عن معرفته صلى الله عليه وسلم بآخر أهل النار خروجاً، وآخر أهل الجنة دخولاً دلالة على التيقن مما يعلمه.

وقد حملت الرسائل أو الإخبارات تلكم في طياتها خطْباً جليلاً، وكانت أعظم من أن يصدّقه المتلقي، فعومل معاملة المنكر لها، وأنه لن يصدق رسالة المرسِل بل سينكرها، ويكفر بفحواها، وإذا أُدخل مورفيم التوكيد (إنّ) فحسب فلن تأتي الرسالة أُكلها إيتاءً بيّناً، ولن يوصل المخاطِب هدف خطابه، وسيبقى المتلقي في شكّ وإنكار؛ لذا قام المخاطِب بإدخال المورفيم المؤكِّد الآخر وهو (اللام) بالإضافة إلى (إن)؛ ليقطع ما يحيك في صدر المتلقّي من ظنون، ويحقق الغرض الدلاليّ من رسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد التعجب أو الرجاء أو التفضيل ... وغيرها من الأغراض المقصودة التي تبينت؛ لو جاءت على وضعيتها الأولى قبل عمليتي الزيادة والتحويل في حالتها الخبرية التي كانت على حالها في الجمل العميقة

(د) التوكيد بالمورفيم (أنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

يعدّ المورفيم (أنّ) شكلاً آخر من أشكال المورفيم (إنّ)، له مواقعه الخاصّة في السياق، كما لـ(أنّ) مواقعه كذلك، وكلاهما يحولان الجملة من وظيفتها الإخبارية إلى وظيفتها التأكيدية؛ لإزالة الشكّ أو الإنكار، أو إثبات حقيقة، أو تأكيد مقولة. ومن بعض تجلياتها في السياقات اتصالها بأفعال العلم والظنّ، واتصالها بالسياق الشرطيّ، والسياق الاستفهاميّ، ومنها قوله–صلى الله عليه وسلم–:

- «عَبْدي أَذْنَبَ ذَنْباً، فَعلِمَ أنّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ...اعْمَلْ ما شِئْتَ، فَقَد غفَرْتُ لكَ.» [lxvii] جملة سطحية ←--- (علم العبد له ربّاً) جملة عميقة

إنه الإقرار بالذنب، والعلم بالرب الغفور، فهما عملان جزاؤهما المغفرة، في ظل تكرر الذنب أو المعصية، فكلما عاد الرجل إلى الاعتراف بما اقترفت يداه، وعاد إلى مولاه، فإنه يجد الله في كلّ مرة قد غفر له.

- ومنه قوله –عليه السلام–: «أفظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ؟» [lxviii] جملة سطحية ←--- (أنت ملاقيّ) جملة عميقة

إنه مشهد يكشف عن لقاء العبد ربّه يوم القيامة، فيسأله رب العزة: ألم أكرمك، وأسوّدك، وأزوجك وأسخّر لك الخيل والإبل ...؟ فيعترف العبد بذلك، ويقرّ. ثم يتوجه له بالسؤال مرة أخرى يسأله عن ظنّه بملاقاة ربه يوم الدين، ليعترف العبد المنكر ويقول: لا؛ لذا يردّ عليه بأنه ينساه اليوم كما نسيه في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل، لم يجعل المنكر لله قدراً وشأناً ومكانة، ومن ثم فللجاحد المنكر مثلما فعل.

- ومنه قوله: « لَوْ أَنَّهُم (أي: أهل الذكر) رَأَوها (أي: الجَنَّة) كانوا أشَدّ عَلَيْها حِرْصاً...» [lxix] جملة سطحية ←--- (لو رأوها فهم أشد عليها حرصاً) جملة عميقة

هو حديث يفصح عن حوار بين الله تعالى وملائكته، وفيه يطمئن الله تعالى على عباده وأحوالهم من سؤال ملائكته السّيّارة المتعاقبة بين الليل والنهار، فيصفون أهل الذكر بأنهم يسبّحون الله ويحمدونه ويمجّدونه، ويسألونه الجنة، ويتعوّذون من جهنّم، وفي كلّ إجابة يسألهم العزيز تعالى: هل رأوني؟ هل رأوا الجنة؟ هل رأوا النار؟ وهو أعرف بأحوالهم، فيجيبون بالنفي، ثم يقول جلّ علاه: فكيف لو رأوني؟ وكيف لو رأوها؟ وهكذا... فتقول الملائكة: لكانوا أشدّ لك عبادة وذكراً...

إننا لو قارنا بين البنية العميقة المحوّلة للجملة (علم العبد له ربّاً) في الحديث الأول وبين جملتها السطحية وهي: (فعلِمَ أنّ له ربّاً يغفر الذنب...)؛ سنجد أن العلم فعل حسيّ يقينيّ، والخبر عنه وجود ربّ متصف بالمغفرة، وهذا أمر حقيقيّ لا ريب فيه، فالله يغفر ذنب عبده كلما آب إليه واستغفره، كما نجد أنّ: المورفيم (أنّ) باتصاله بفعل (العلم) قد ربط ما قبله بما بعده؛ ليأتلف التركيب ويصبح في سبك واحد، فيحقق المطلوب وهو إبعاد الظّن عن ذهن المتلقي، فهو مورفيم دلاليّ، جاء ليؤكّد حقيقة، ويثبتها في ذهن المتلقي؛ لإفادة التشويق والترغيب.

وإن جملة: (أفظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ؟) في الحديث الثاني هي جملة محوّلة تصدّرت بحرف استفهام، تلاه حدث يفيد الظنّ، ومن ثمّ الإخبار عن ملاقاة الله عزّ وعلا، فالفعل (ظننت) يعبّر عن حدث لم يكن يتوقّعه المتلقي، ومورفيم الاستفهام جاء يطلب التصديق لهذا الظنّ، فربط المورفيم (أن) الاستفهام وفعل الظن بما بعده في سياق أفاد التقريع من الرب للعبد، والتقرير من العبد بأن ما يحدث له يوم القيامة يسير على خلاف ما توقع.

وفي حديث السياق الشرطي في الماضي: (لو أنهم رأوها –الجنة– لكانوا أشدّ عليها حرصاً...) أفاد المورفيم (لو) القطع بانتفائه لانتفاء جوابه أو جزائه؛ فانتفاء رؤيتهم للجنة انتفى حرصهم عليها، والرؤيا هنا ليست الرؤية الحقيقية، إنما الرؤية اليقينية أو القلبية، ولكي لا يكون ثمة مجالاً للشكّ في الانتفائين برزت (أن) و(اللام) للتوكيد؛ أي لإبعاد الإنكار من ذهن المتلقي، وإنزال الخبر منزلة اليقين.

هـ) التوكيد بالمورفيم (كأنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

أصل الورفيم (كأنّ) عند علماء العربية[lxx]: (أنّ) أدخل عليها (كاف) التشبيه، والأصل في هذه (الكاف) أن تكون مؤخرة؛ أي متصلة بالخبر، ورأوا أن (كأنّ) يفيد التشبيه والتوكيد والجحد والتمني والظن والتقريب[lxxi]، يدخل على الجملة الاسمية بحيث يربط بين جملتين سابقة لها ولاحقة بها؛ لإجراء الهدف من رسالة المخاطِب. فإن جاء للتشبيه فهو يربط بين المشبه والمشبه به للتأكيد على أن ذاك يشبه هذا، فإذا حذف المورفيم (كأنّ) من الجملة أضحت جملة خبرية تبين حقيقة ما للمتلقي الذي أنزل منزلة المتيقن منها.

ومن الأمثلة الشاهدة على هذا التركيب قوله –صلوات الله وسلامه عليه–:

- «فيُحْشَرونَ إلى النّارِ[lxxii]، كَأَنَّها سَرابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً»[lxxiii] جملة سطحية ←---(النار سراب) جملة عميقة
- وقوله: «يُؤْتى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّها سَرابٌ»[lxxiv] جملة سطحية ←---(جهنم سراب) جملة عميقة

– وقوله: «فَيَخْرُجونَ كَأَنَّهُم اللُّؤْلُؤُ[lxxv]»[lxxvi]جملة سطحية ←---(هم اللؤلؤ) جملة عميقة

لو أنعمنا النظر في الجمل آنفة الذكر قبل عملية التحويل وبعدها؛ أي قبل دخول (كأنّ)؛ سنلحظ أن المورفيم (كأنّ) له وقع خاص في الجمل السطحية، وهو التأكيد بعد التشبيه لذلك المتلقي الذي عومل معاملة الشاكّ من صحة الخبر، فأوتيت له المؤكدات؛ لصرف الشكّ عنه.

ذلك أن الإخبار عن جهنم أو النار – التي يحشر بها الخلق يوم المحشر– في الحديث الأول والثاني وتشبيهها بسراب قد دفع المخاطِب لاستخدام أسلوب الإخبار بأكثر من مؤكد: المورفيم(أنّ)، ومورفيم (كاف التشبيه)، ومورفيم ضمير الشأن (ها) المحولة عن هي؛ ليطلق للمتلقي حرية التصور إلى تصورها على الشاكلة المقصودة؛ فهي ك (سراب) يُرى لكنه ليس حقيقياً، إنها صورة مضللة يبدو معها هذا التشبيه لجهنم تخويفاً من شدة حرّها، وترهيباً من نارها حتى بدت سراباً كالطريق أو الفلاة أو الشارع وقت القيظ، فأراد المرسِل أن يؤكد دلالة التشبيه ليدفع عن ذهن المتلقي شكّه في تيك الحقيقة.

أما التصوير الثالث فقد جاء للإخبار عن المؤمنين الذين شبهوا باللؤلؤ في البياض والنقاء والجمال والإبهار، وهو تصوير يكشف عن منظر بديع، وجه الشبه بين أولئكم والحجر النفيس، خبر يحتاج إلى تأكيد، فدخل المورفيمان (أنّ) و(هم)، ثم ما كان من الرسالة إلا أن تستخدم مورفيم التشبيه (الكاف)؛ لتضفي أَلَقاً آخر على الخبر المؤكد في قولها: كأنهم اللؤلؤ للتأكيد على المضمون.

و) التوكيد بالمورفيم (لكنّ) الداخلة على الاسم:

يرى ابن يعيش أن «(لكنّ) المشددة و(لكن) الخفيفة[lxxvii]سيان في الاستدراك، وأن ما بعدهما يكون مخالفاً لما قبلهما، فالخفيفة يوجب بها بعد نفي، وليس كذلك بالمشددة، فإنها تدخل على جملة تصرفها إلى الاستثناء، ولشبهها بالخفيفة لا يكون ما بعدها إلا مخالفاً لما قبلها، مغايراً له، وتقع بعد النفي والإثبات، فإن كان ما قبلها موجباً كان ما بعدها منفياً، وإن كان ما قبلها منفياً كان ما بعدها موجباً؛ لأن ما بعدها كلام مُستغنٍ، فمعناه يُنبئ عن المغايرة، ولا حاجة إلى الأداة النافية، بل إن كان حسن، وإلا فلا ضرورة إليه[lxxviii].»

ومن السياقات القدسية التي دخل فيها المورفيم (لكنّ) على الاسم:

الحديث: أول ما يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة: شهيد، وعالم، ومتصدّق، فيسألهم ربّ العزّة عن أعمالهم، فيقول الأول: «قاتَلْتُ فيكَ حتّى اسْتُشْهِدتُ»[lxxix] ، ويقول الثاني: «تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمْتُهُ»[lxxx]، ويجيب ثالثهما:«ما تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لَكَ»[lxxxi]، فيردّ عليهم مولانا عزّ وجلّ زعمهم بالأقوال الآتية:

– «...كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ قاتَلْتَ لِأَنْ يُقالُ: جَريء»[lxxxii]جملة سطحية ←--- (أنتَ قاتلتَ لأن يقال جريء) جملة عميقة

- ومثله قوله:«...كَذَبْتَ، ولَكِنّكَ تَعَلّمْتَ العِلْمَ؛ لِيُقالَ: عالِمٌ...» [lxxxiii] جملة سطحية←---(أنتَ تعلّمتَ ليقال عالم) جملة عميقة
- ومنه قوله –عليه السلام–: «... كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هُوَ جَواد» [lxxxiv] جملة سطحية--- ← (أنتَ فعلتَ [أي: أنفقت] ليقال هو جواد) جملة عميقة
- وقوله: «كُلُّنا نَكْرَهُ الموْتَ، قالَ: لَيْسَ كَذلِكَ، وَلَكِنَّ المؤْمِنَ إذا بُشّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ ورِضْوانِهِ وَجَنَّتُهُ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ» [lxxxv] جملة سطحية←--- (كلنا نكره الموت، والمؤمنَ إذا بُشّر... أحبّ) جملة عميقة
- وقوله: «...وَتَرَى النّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديد» [lxxxvi] جملة سطحية-- ← (ترى الناس سكارى، وعذابَ الله شديد) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (لكنّ) على الجمل السابقة قد حوّل التركيب من البنى العميقة إلى البنى السطحية؛ ليربط ما قبلها بما بعدها، ويثبت دلالة الأخبار التي قصدها الخطاب، وهي: القتال، والعلم، والإنفاق في سياقات احتيجت إلى المورفيم (لكنّ) الذي جعل من الخبر ما بعده يغاير ما قبله ويناقضه، فأُنزل المتلقي منزل الشاكّ في تلقي الحقيقة الخبرية؛ وجاء (لكنّ) ليظهر الحقيقة للعيان، ويكشفه، فيزيل الشك، ويضع الخبر موضع اليقين. فإذا وقفنا على الجملة: (أنت قاتلت..) مثلاً، فسنجدها جملة خبرية اعتيادية، أفادت معلومة للمتلقي بأنّ فلاناً شهيداً يقاتل في سبيل الله، بينما عند دخول (لكنّ) عليها وقع الإثبات على القتل بطريقة ليست كما وقعت في ذهن المتلقي، بل بحقيقة مغايرة، فهو قد كذب في قتاله، فلم يقاتل دفاعاً عن الإسلام أو صدّاً للعدوّ في سبيل الله، بل قاتل من أجل أن يذيع صيته بين الناس بأنه شجاع، وهذه الحقيقة يؤكدها المخاطِب بوجود (لكنّ)، وهنا تبرز المفارقة. ونحوها في الجمل المتقابلة قبل عملية التحويل وبعدها، فثمة فرق بين (أنت تعلمتَ العلم فأنت عالم)، و(كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم) ، فالأولى أعطت حقيقة خبرية، أما الثانية نفت لتعطي حقيقة مغايرة. ونحوها في المثال الذي يليه: (أنت أنفقت فأنت جواد)، و(كذبت، ولكن أنفقت فأنت جواد).

إذ تنكشف الحقيقة المغايرة كذلكم في السياقين السابقين، الأول منهما: الأول منهما:«كُلُّنا نَكْرَهُ المِوْتَ، قالَ: لَيْسَ كَذلِكَ، وَلَكِنَّ المؤْمِنَ إذا بُشّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ ورِضْوانِهِ وَجَنَّتُهُ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ»، والثاني: «...وَتَرَى النّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديد». من حيث إن كراهية الموت يجمع عليها البشريؤكد ذلك لفظة (كلنا)، ففي الجملة خبر حقّ لا ريب فيه، ثم يكمل السياق لتلكم الحقيقة بالمورفيم (لكن)؛ ليعطي عكسها، وهي حبّ الإنسان المؤمن للقاء الله، ولا يتم لقاء الأحبة إلا بمآب الروح إلى بارئها، فالله تعالى قد بشّره برحمة ورضوان وجنة، فاستثنى المؤمنين من خبر كراهية الموت إلى حبّ لقاء الله.

أما المفارقة الثانية فتتضح في قوله–عليه الصلاة والسلام– بالجمل العميقة: (الناس سكارى، وما هم بسكارى، وعذاب الله شديد) فهي جمل إخبارية، تفيد الأولى منها إثبات حال الخلق يوم القيامة بأنهم سُكارى، في حين تنفي الثانية خبر الأولى عنهم الذي يحتاج إلى معنى ثالث يربط بين تناقضهما، ويسوغ تقابلهما، إذ عجزت الجملة عن فعل ذلك مع ما تلاها من جملة ثالثة، حين كانت على حالتها الإخبارية أي بحال جملة عميقة، فهي لم تعطِ إلا خبراً بشدّة عذاب الله، بينما قدمت في

حالتها السطحية؛ أي بدخول المورفيم (لكن)، ربطاً دقيقاً للجمل الثلاثة، لتعطي مفهوماً تأكيدياً أحال الناس ساعتها بالشعور بالسكر رغم أنهم ليسوا كذلك بسبب عذاب الله تعالى.

ثانياً: التوكيد بالقصر

عدّ نحاة العربية[lxxxvii]دخول (ما) مع (إن) من أساليب القصر، ورأوا أن مجيء (ما) أو (لا) مع (إلا) أسلوب استثناء مفرّغ، في حين عدهما البلاغيون[lxxxviii]من أساليب القصر، وهو من أبواب علم المعاني، ورأوا أن القصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[lxxxix]، وللقصر قسيمان: القسيم الأول وهو المقصور، وقسيمه الثاني المقصور عليه، فيقصر الموصوف على الصفة، أو تقصر الصفة على الموصوف، وللقصر طرائق أشهرها: «يأتي في باب الاستثناء عند الكلام عن الاستثناء المفرّغ في نحو قوله تعالى: ﴿**مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[xc] وقوله جلّ جلاله:﴿**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**﴾[xci]، ذلك أحد وجهي القصر، وإحدى طرائقه، أما الوجه الآخر الذي يأتي في باب (إن) إذا دخلت عليها (ما) التي يزعمون أنها تكفها عن العمل، فيكون الكلام إما قصر صفة على موصوف، أو قصر موصوف على صفة، مثل قوله تعالى[xcii]: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾»[xciii].

وقد ماز صاحب الإعجاز بين أسلوبي القصر بـ(ما وإلا)، وبـ(إنما) في عبارته القائلة: «أما الخبر بالنفي والإثبات، نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشكّ فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلاّ نَذِيرٌ**﴾[xciv] إنما جاء –والله أعلم– بالنفي والإثبات؛ لأنه لما قال تعالى: وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مّن فِي الْقُبُورِ، وكان المعنى في ذلك أن يُقال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: أنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الآباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدهم بأسماعهم عما تقول لهم، وتتلوه عليهم، كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي –صلى الله عليه وسلم– حال من قد ظنّ أنه يملك ذلك، ومن لا يعلمه يقيناً أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر، ويحذر، فأخرج اللفظ مخرجه، إذ كان الخطاب مع من يشكّ، فقيل: إِنْ أَنتَ إِلاّ نَذِيرٌ»[xcv]. وأكمل قائلاً: «اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر ما لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك: أنك تقول للرجل إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقربه، إلا أنك تريد أن تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، ومثاله في التنزيل: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا**﴾[xcvi]، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم، وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له، وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذاراً، ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله، فأما الكافر والجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه واحد»[xcvii]. والمخاطب بأسلوب القصر لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة؛ إما أن يكون معتقِداً عكس رأي ما، أو شاكّاً فيه، والحالة الثالثة أن يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في هذا الحكم. [xcviii]

بناء عليه؛ فإن أسلوب القصر من أساليب التوكيد في الجملة التي تحمل عدّة معان تستشف من هدف الخطاب في الجمل الاسمية، نفصلها في الآتي:

(أ) **القصر بالمورفيم (إنّما)**:

ذهب السكاكي[xcix] إلى أن هذا الحرف يتكون من (إنّ) و (ما). أما (إنّ) فلتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة؛ حيث ناسب أن يُضمّن معنى القصر؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد. إذ يرى الخطيب القزويني[c] أنها تفيد القصر كونها متضمّنة معنى ما وإلا، لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**﴾[ci] معناه: ما حرّم عليكم إلا الميتة... ولقول النحاة: إنما لإثبات ما يُذكر بعدها، ونفي ما سواها[cii]، وجاء في مغني اللبيب ما يعضد ذلك ونصّه: «إنما هي لتوكيد الكلام إثباتاً كان أو نفياً»[ciii]، ويرى البلاغيون أن القصر بإنما تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة[civ]. على أن المورفيم (إنما) يفيد التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بـ(إن) وحدها؛ لأنه «غالباً ما يكون في سياق فيه إنكار وجحد، فيحتاج إلى درجة عالية من توكيد الخبر»[cv]

ومن السياقات القدسية التي وردت فيها (إنما) دالة على القصر،مقدمة وظيفة التأكيد قوله –صلى الله عليه وسلم-:

- « يا عِبادي، إنّما هيَ أعْمالُكُم أُحْصيها لَكُم، ثُمَّ أُوْفيكُم إيّاها، فمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلِيَحْمِدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلك فَلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَه»[cvi] جملة سطحية ←---(هي أعمالكم...) جملة عميقة
- وقوله: «لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم، وحَيَّكُم ومَيِّتَكُم، ورَطَبَكُم ويابِسَكُم اجتَمَعوا في صَعيدٍ واحِدٍ، فسَأَلَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْكُم ما بَلَغَتْ أُمنِيَّتُهُ، فَأَعطَيْتُ كُلَّ سائِلٍ منكم ما سَأَلَ، ما نَقَصَ ذلكَ منْ مُلْكي، إلا كما لو أنَّ أحَدَكم مَرَّ بالبحْرِ، فَغَمَسَ فيهِ إبْرَةً، ثمّ رَفَعَها إلَيْهِ، ذلكَ بِأَنّي جَوادٌ ماجدٌ، أفعَلُ ما أُريدُ، عَطائي كَلامٌ، وعَذابي كَلامٌ، إنّما أَمْري إذا أَرَدْتُهُ أنْ أقولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكون»[cvii]. جملة سطحية ←---(أمري إذا أردته...) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (إنما) على الجمل العميقة، وظهورها في البنيات السطحية الآتية: (إنّما هيَ أعْمالُكُم أُحْصيها لَكُم)، و(إنّما أَمْري إذا أَرَدْتُهُ أنْ أقولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكون) جاء ليسبك عناصر الكلام، ويربط ما قبله بما بعده، ويظهر الدور الدلالي في إخراجها مخرج الظاهر المعلوم الذي لا يُنكَر ولا يُخفى، فالأعمال أعمالنا، والأمر الصادر من المولى إرادته النافذة، هما خبران لا يجهلهما المتلقي، ولا يحتاج فيها لإعلام، بحال البنيتين اللسانيتين العميقتين: (هي أعمالكم)، و(أمري إذا أردته)، أي قبل عملية التحويل ودخول (إنما) عليهما.

لقد أفاد التركيب في الجملة السطحية (إنما هي أعمالكم) الحصر، كأن نقول: (ما هي إلا أعمالكم)؛ أي: ما الأعمال التي تقومون بها إلا أعمالكم، محصورة عليكم، يحصيها الله تعالى لكم، وهذا أمر معروف في ذهن المخاطبين، لا ينكرونه، من حيث إن الجملة العميقة:(هي أعمالكم) هي حقيقة ثابتة يعلمها الجميع، لكنهم أَلِفوا أعمالهم، حتى غدت موضع العادة أو الطبع، لذا احتاجوا إلى التنبيه على أن هذه الأعمال سواء أكانت خيراً أم شراً من صنيعكم، واحتاجوا إلى التذكير؛ حتى يجعلوها في ميزان حسابهم، ويراقبوها، ويهذبوها؛ إذ ثمة من يحصيها لهم، ثم يوفيهم إياها.

في حين أفاد التركيب في الجملة السطحية الثانية:(ما أمري إلا إذا أردته) التعريض وردّ الشيء إلى حقيقته، فالأمر إرادة الله عزّ وعلا، وما عداه ليس شيئاً، كما جاء في السياق القرآني: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[cviii]، يقول الجرجاني في ذلكم: «ليس الغرض من قوله تعالى أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار، وأن يقال أنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل. فإذا أسقطت من الآية (إنما) فقيل: يتذكر أولو الألباب، كان مجرد وصف لأولي الألباب، بأنهم يتذكرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم، فالتعريض وقع بمدح إنسان بالتيقظ، وبأنه فعل ما فعل، وتنبه لما تنبه لعقله، ولحسن تميزه كما يقال: كذلك يفعل، وهكذا يفعل الكريم»[cix]. وقياساً على ذا يمكن القول في: (إنما أمري إذا أردته)؛ فهو من قبيل التعريض، إذ إنّ الله تعالى يريد أن يرجع الأمر كله عطاء وعذاباً إلى إرادته النافذة المهيمنة، مقابل ما بيد الناس من عطاء وعذاب، وكأنهما مقيدان أمام عطاء الله أو عذابه النافذيْن، فالعطاء والعذاب إنما هما إرادة الله بكلمة منه، إنه بهذا التركيب السطحي ينزل المتلقي منزلة الجاحد المنكر لتلكم الحقيقة، وذلك باستخدام أسلوب القصر بـ(إنما): الجملة العميقة: (أمري إذا أردته) من غير (إنما) لا يُرجى معها المقصود من الخطاب.

(ب) القصر بالمورفيم (إلا) مع المورفيم (ما) أو المورفيم (لا):

عدّ علماء اللغة –نحاة وبلاغيون– النفي بالمورفيمين (ما) أو بـ(لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) من صور القصر، بل أكثر أساليب القصر شيوعاً واستعمالاً، ولا يكون هذا التركيب الجُمَليّ إلا في الاستثناء المفرّغ، ولا يمكن وقوعه في الموجب من الكلام[cx]، وسبق أن بيّنا أنّ القصر من الأساليب الدالة على توكيد مضمون الرسالة المراد إيصالها إلى ذهن المتكلم.

إذ يرى سيبويه أن «الوجه الذي كون فيه الاسم بمنزلته قَبْل أن تُلحق (إلا) هو أن تُدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه»[cxi]، وهو بذلك يشير إلى أن المورفيم (إلا) أفاد حصر ما بعد (ما) أو (لا)، ونفى أي صفة أخرى تتعلق به، وقد صرّح الزركشي بهذا الأمر بقوله: «معنى (إلا) اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره»[cxii]، وعلى ذلك أُطلق على المورفيم (إلا) في الاستثناء المفرغ أداة حصر؛ لأنه يحصر به حكم ما قبله في ما بعده[cxiii].

ومن السياقات القدسية التي ذكرت فيها هذا النوع من القصر قوله –صلى الله عليه وسلم-:

- وقوله: «ما مِن حاكمٍ يَحْكُمُ بيْنَ الناسِ إلا جاءَ يوْمَ القِيامَةِ، ومَلِكٌ آخِذٌ بقفاهُ، ثمَّ يَرْفَعُ رَأسَهُ إلى السّماءِ، فإن قالَ: أَلْقِهِ، أَلْقاهُ في مَهْواةِ أربعينَ خَريفاً. »[cxiv] جملة سطحية ←--- (حاكم يحكم... جاء يوم القيامة) جملة عميقة
- ومثله: «ما لِعَبْدي المؤْمِنِ عنْدي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنيا، ثُمَّ اِحْتَسَبَهُ، إلا الجَنَّةُ»[cxv] جملة سطحية--← (لعبدي المؤمن... الجنة) جملة عميقة
- ومنه قوله: «اِعْمَلوا وأَبْشِروا، فَوَالذي نَفْسُ محمّدٍ بِيَدِهِ ما أنْتُم في النّاسِ إلا كالشّامّةِ في جَنْبِ البَعيرِ أو كَالرَّقْمَةِ[cxvi]في ذراعِ الدّابّةِ»[cxvii] جملة سطحية ←--- (أنتم كالشامة...) جملة عميقة
- «...فادْعوا، وما دُعاءُ الكافِرينَ إلا في ضَلالٍ...» [cxviii]جملة سطحية ←--- (دعاء الكافرين في ضلال) جملة عميقة

إن دخول مورفيم النفي (ما) أو (لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) على التركيب العميق حصر الأخبار في المبتدآت، وخصّها عن غيرها من الأخبار؛ للتأكيد عليها للمتلقي الذي أنزل منزلة المنكر للخطاب، فالمجيء الوارد في الحديث الأول أمر محتوم آكد لكل حاكم كان يحكم بين الناس في الدنيا؛ إذ يلقى ما يلقى يوم القيامة، دون أن يحلّ أحد مكانه، وربما يسعف الجملة قبل الزيادة والتحويل: (الحاكم جاءٍ يوم القيامة...) أن تقدم وظيفة الإخبار، لكنها بلا ريب تؤدي في الحصر والاختصاص دلالة الرسالة بمراد آخر هو أبعد عمقاً وأكثر إبلاغاً، وذلك هو أن لا فعل غير المجيء.

ونرى في الجملة السطحية الثانية: (ما لعبدي المؤمن جزاء إلا الجنة) أنها تنفي كل جزاء للعبد الذي آمن بمعبوده، ليكون استحقاقه الجنة، بل لا شيء غير الجنة، فحصرت الجنة في الجزاء، وكأنه إطلاق لعنان التخيل لما في الجنة من نعيم، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك جزاء للعبد المؤمن، وتشريفاً له، فقد نُسبت صفة العبودية للذات الإلهية تشريفاً وتكريماً لهذا المؤمن، ولو كانت الجملة العميقة: (جزاء عبدي المؤمن الجنة) هي المستخدمة في السياق؛ لكانت جملة خبرية، ليس فيها حصر أو قصر أو اختصاص للخبر، وهو ما لا يبتغيه المرسل.

أما في التعبير القدسي الثالث في الجملة السطحية: (ما أنتم إلا كالشامة...، ما أنتم إلا كالرقمة...) فإن الخطاب فيه يتوجه إلى الحصر والاختصاص، حصر الشامة والرقمة في جنب البعير أو الشاة، ولا شيء غيرهما، فحتى لا يتوجّه التفكير إلى صفة أخرى استخدم المرسل هذا الأسلوب، ولم يقل: (أنتم كالشامة...، وأنتم كالرقمة...)، إن الخطاب لم يأتِ من أجل التشبيه فحسب، إنما جاء للتشبيه والحصر، فإذا قيل: أنتم كال... سيذهب التخيل إلى صفات كثيرة؛ ليشبه أنتم في تلكم، لكن اقتُصِر على الشامة أو الرقمة في التشبيه؛ لبيان أن الشامة شيء لافت للنظر وإن كانت مساحتها قليلة مقارنة بجسم الشاة أو البعير، لكنها واضحة بارزة، وأنتم كذلكم بين الآخرين، وإن كنتم أقلّة.

ويبيّن أسلوب القصر بمورفيم النفي (ما)، ومورفيم الحصر (إلا) في الجملة للحديث الآخر: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أن في الخطاب تبكيتاً وإفحاماً، وتثبيت فكرة، ونفي غيرها في ذهن المِصِرّ على ضلاله وخطئه، إذ طُلب منهم أن يدعوا: (ادعوا) كما تشاؤون، وكيفما تريدون، لكن (ما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، فصعقتهم الحقيقة، من حيث إن الخبر المحصور (الضلال) يقابل الدعاء الذي لا فائدة منه، ولا هدي لإنجازه، ولا رشد في إتمامه، ذلكم الدعاء الذي هو مقصدكم في ذاك الوقت العصيب، فهو لم يقل لهم: (دعاء الكافرين ضلال) بالجملة العميقة المجردة من النفي والحصر؛ لأنها جملة خبرية لا تؤدّي الدلالة المستهدفة من وراء الخطاب، إذ ثمة فرق بين أن يقال لهم: (دعاء الكافرين ضلال)، وبين: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، من حيث إن الجملة العميقة لا تحصر المسند في المسند إليه، فقد يتبادر لذهن السامع أن الدعاء مسموع أو مرفوض أو غير مقبول... وغيره من الإخبارات، لكن الجملة السطحية نفت كل خبر قد يتبادر للذهن ساعة استخدام الخطاب كلمة (ضلال) ليكون هو الخبر المناسب للمبتدأ في أسلوب القصر مع المورفيمين (ما و إلا).

وبعد كلّ ذلك؛ فلا عجب أن يستثمر الخطاب القدسي الحواريّ هذا الأسلوب (أسلوب الحصر) بين العبد وربه في إقرار الألوهية له عز وجلّ وحده، وتتمثّل هذه الدلالة في كثير من الأحاديث القدسية، نأخذ على سبيل التمثيل:

- «إذا قالَ العَبْدُ: لا إِلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، قال: يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، وَأنا اللهُ أكبرُ، وإذا قالَ العَبْدُ: لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا وَحدي، وإذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي، وإذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ، و إذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي»[cxix]

ونحلله في الآتي:

- قوله: «العبد: لا إِلهَ إلا الله. الرب: لا إِلهَ إلا أنا» جملتان سطحيتان→--- (الإله الله) (الإله أنا) جملتان عميقتان
- وقوله:«العبد: لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا وَحدي» جملتان سطحيتان→---(الإله الله وحده) (الإله أنا وحدي) جملتان عميقتان
- وكذلك قوله: «العبد: لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي» جملتان سطحيتان--- →(الإله الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ) (الإله أنا، ولا شريكَ لي) جملتان عميقتان
- وقوله أيضاً: «العبد: لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ» جملتان سطحيتان→---(الإله الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ) (الإله أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ) جملتان عميقتان
- وقوله:«العبد: لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي» جملتان سطحيتان→---(الإله الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ) (الإله أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي) جملتان عميقتان

فدخول مورفيم النفي (لا) ومورفيم الاستثناء (إلا) على الجمل السطحية آنفة الذكر أبرز الوظيفة الدلالية المرجوّة من السياقات، وهي التوكيد والإقرار على حقيقة وحدانية الله –عزّ وعلا– فالعبد يقول مؤكداً حقيقة اعتقاده وإيمانه بأن (لا إله إلا الله)، والإقرار يَصْدق هذا التوكيد بالجواب: (صدق عبدي، لا إله إلا أنا)، ونحوه التأكيدات المتوالية بالمورفيمين الدالّيْن على اقتصار المسند على المسند إليه في قول العبد: (لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ) و(لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ)، و(لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ)، و(لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ) ، فالمورفيم (لا) ينفي أي إله موجود على وجه الخليقة، لكن إقران (إلا) مع النفي يؤدّي إلى دلالة مغايرة تماماً للحقيقة السابقة، وهي أن لا إله موجود باستثناء الله تعالى، والعبارات: وحده، ولا شريك له، ولا حوْلَ ولا قوّة إلا بالله، زادت تأكيداً على تأكيد في قصر صفة الألوهية أو العبودية أو الحمد والملك أو الحول والقوة لهذا الإله وهو الله تعالى. ومن ثمّ نلحظ الإجابات على تلكم التأكيدات بإقرار الحقيقة الآكدة في السياقات القدسية: (لا إِلهَ إلا أنا وَحدي)، و(لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي)، و(لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ)، و(لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي) بالأسلوب نفسه، باستخدام المورفيمين الدالّيْن على القصر والحصر والتوكيد والإقرار (لا) و(إلا)، فلو جردت السياقات السابقة من المورفيمين (لا) و(إلا) لما كانت تلكم السياقات تؤدّي الدلالة المطلوبة، نحسب أنّ فالجملة

العميقة: (الإله الله) ليس لها تعبير دلالي الجملة السطحية بعد التحويل والزيادة: (لا إله إلا الله)، وأن الجملة العميقة (الإله أنا)، لا تؤدي الدلالة التي تؤديها الجملة السطحية: (لاإله إلا أنا)، فالفرق جليّ.

ثالثاً: التوكيد بالقسم

يقول سيبويه: «اعلم أن القسم توكيد لكلامك»[cxx]، فهو يحول الجملة من خبرية عميقة ذات دلالة يسيرة إلى جملة سطحية تكشف عن دلالة تأكيدية، إنه يجاء به لتوكيد جملة ترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء، يتكون أسلوب القسم من: الجملة المؤَكِّدة، وهي جملة القسم والجملة المؤَكَّدة[cxxi]، وهي جواب القسم أو المقسم عليه، ويكون فيها في الإيجاب المورفيمان (إن) و(اللام)، وفي النفي المورفيمان (ما) و(لا) [cxxii]، وجملة القسم هذه هي الموضع الذي يقصد توكيدها في الكلام الخبري، علما أن الجملة القسمية تتصل بحروف مع المقسم به، فقد يتصل الباء أوالواو أوالتاء، مثل: بالله، والله، تالله، أو بالفعل نحو: أقسم، أحلف... أو بألفاظ هي نص في القسم: لعمرك، يمين، الحق... [cxxiii]

ومما جاء ذكره في القسم في الأحاديث القدسية دخولاً على الجملة الاسمية في قوله –صلى الله عليه وسلم– في فضل مكانة الصائم عند الله عزّ وجلّ ونصّه:

- «وَالذّي نَفْسي بِيَدِهِ، لَخُلْفَةُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»[cxxiv]جملة سطحية←---(خُلْفَةُ فم الصائم أطيب)جملة عميقة
- وقوله: «فَوَالذّي محمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخَلوفُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»[cxxv] جملة سطحية ←---(خَلوفُ فم الصائم أطيب) جملة عميقة

في معرض كلامه –صلى الله عليه وسلم– عن بني أسلم وغِفار اللتين ذكرتا في أكثر من حديثه، نحو: «أَسْلَمُ سالَمَها اللهُ، وغِفارُ غَفَرَ الله لها وَأَما إِنّي لمْ أقلْها، لكن قالَها اللهُ –عزَّ وجلّ–»[cxxvi] ونصّه: «فَوَ الذّي نَفْسي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخْيَرَ مِنْهُم» جملة سطحية←---(هم خير) جملة عميقة.

فقد جاء الأقرع بن حابس إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائلاً: «إنما بايَعكَ سُرّاقُ الحجيج مِنْ أسْلَم وغِفار ومُزْيَنَة»[cxxvii]؛ وذلك انتقاصاً من شأنهم، فردّ عليه رسولنا الكريم–صلى الله عليه وسلم– بقوله: «أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ أسْلَم وغِفار ومُزْيَنَة خَيْراً مِنْ بَني تَميمٍ وبَي عامِرٍ وَأَسَد وغَطْفانَ، أَخابوا وخَسِروا؟.. فَوَ الذّي نَفْسي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخْيَرَ مِنْهُم»[cxxviii]

ومنه قوله في سؤال عَطاء بن يَسار عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في التوراة، ونصّه: «واللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصوفٌ(أي: محمد عليه الصلاة والسلام) في التّوْراةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ في القُرآن: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**... إلى آخر الحديث»[cxxix] جملة سطحية←---(هو موصوف) جملة عميقة.

- ومنه: «واللهِ، للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بِالفَلاة...» [cxxx]جملة سطحية←---(الله أفرح بتوبة عبده...)جملة عميقة

- ومثله: «والذّي نَفْسي بِيَدِهِ، ما بَيْنَ المِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارِعِ الجَنّةِ، كَما بَيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَر، وَكَما بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرى»(cxxxi) جملة سطحية ←---(ما بين المصراعين من مصارع الجنة، كما بين مكة وحِمير...) جملة عميقة

نلحظ مما سبق أن المورفيم القسمي (الواو) قد تفرد بالدخول إلى جملة القسم في العبارات آنفة الذكر، وأن الأسماء المقسمة بها بعد (الواو) هي: لفظ الجلالة (الله)، والذي نفسي بيده- وهو الله عز وجل، والذي نفس محمد بيده- وهو الله- كذلك وهي أسماء يقسم بها تعظيماً لقدر الله ومنزلته، فهو أعظم وأفضل من يُقسم به، إثباتاً لأمر ما أو نفياً لشي ما، وقد أشار الرسول عليه صلوات الله في قسمه إلى الله الذي تكون نفسه أو نفس محمد بيده إشارة إلى الإقرار التام برب النفس التي خلقها، وبيده ناصيتها.

وقد أضاف أسلوب القسم من (الواو) والاسم الذي يليه تأكيداً واضحاً على المعلومة الخبرية التي يريد المرسِل أن يؤديها، فيما لو كانت هذه الجمل خبرية قد أتت على حالتها الأولى قبل عمليتي التحويل و الزيادة، مع العلم أن ثمة مؤكدات أخرى قد دخلت على، مثل (لام) الابتداء، و(إن واللام)، نحو: (لَخُلْفَةُ أو خَلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)، و(إنهم لأخير منهم)، و(إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن)، و(للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفَلاة) فزاد القسم عليها توكيداً على توكيد.

وكأنّ المخاطِب في قسمه قد أنزل المتلقي أو غير المنكر منزلة المنكر فأكد له بأكثر من تأكيد؛ بهدف إيصال الدلالة من وراء الغرض الإخباري، فالصائم الذي امتنع عن الطعام والشراب في دنيا مليئة بالملذات قد استجاب امتثالاً لأمره عزّ وعلا كان لابدّ له من تطمينات تأتي على شكل مؤكدات تدخل على ذلكم الثواب (الجزاء)؛ ولهذا فقد احتيج إلى القسم لتعظيم مكانة الصائم يوم الثواب الأعظم، وثم إن خبر التفضيل (أقوام على أقوام) ساق إلى التأكيد بأسلوب القسم إضافة إلى إن واللام؛ لبيان حقيقة باتت كالشمس واضحة، لا مجال لنكرانها. كما أنّ تأكيد خبر وصف النبي محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة ببعض صفاته في القرآن جاء أسلوب القسم إضافة إلى اللام، ذلك أن نزول التوراة كان قبل آلاف السنين من نزول القرآن، ومن المعروف أن نصوص التوراة قد دخلها التحريف في غير موضع، فلم لا تُحرف صفات النبي المذكورة فيه؛ لذا وجب التأكيد بأكثر من مؤكد، لا سيما القسم؛ حتى لا يدع أدنى شك في نفس المخاطِب بأن الكتابين وصفا النبي صلى الله عليه وسلم بصفات مماثلة، بل ما جاء في التوراة كان بعضاً مما نزل في القرآن.

وأن الخبر الواقع عليه القسم في جملة: (للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفَلاة)، جاء تأكيداً من المخاطِب على الفرح بتوبة المتلقي، وترغيباً له بأن التوبة ما هي إلا قمة الإقرار بعبوديته لله، واعترافه بأنه بيده الغفران وحده، وعودة الضال إلى هاديه، وأوبة العاصي إلى من عصاه، وهو دليل على فرحة الخالق بتوبة مخلوقه كما مثله أسلوب التشبيه بفرحة عودة دابة أحدنا أو ضالتنا بعد التيقن من ضياعها وعدم رجوعها.

وعليه؛ فإننا نقول: إن دخول المورفيمات سابقة الذكر على الجملة الاسمية في الأحاديث القدسية قد قدمت وظيفة دلالية مقصودة، سعى إليها المرسل سعياً من أجل تقديم دلالة إعجازية، تعجز الجمل العميقة أن تقدمها من غير تلك المورفيمات.

[i] – لمزيد من التفاصيل حول المآخذ التي سجلتها المدرسة التوليدية على منهج المدرسة الوصفية البنيوية ينظر:

أبو عاصي، حمدان رضوان، **التطورات المنهجية والنظرية للنظرية التوليدية في نصف قرن**، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد3، 2007م ، 128

[ii] – Chomsky Noam, **Studies on Semantic in Generative Grammar**, The Hague Mouton 1972

[iii] – ينظر: باقر؛ مرتضى جواد، **مقدمة في نظرية القواعد التوليدية** ط1، دار الشروق، 2002م. 57

[iv] – Chomsky Noam**, Cartesian linguistic**, New York and London Harper and Row, seuil: 1969.p.62

[v] – Chomsky Noam**, Cartesian linguistic**, p.62

[vi] – الحناش ، محمد، البنيوية في اللسانيات (الحلقة الأولى) ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1401هـ – 1980م .88. ينظر: سميح، أبو مغلي، **في فقه اللغة وقضايا العربية**، دار مجدلاوي،عمان، 1987.،81.

[vii] – ينظر: **في فقه اللغة وقضايا العربية**، 78.

[viii] – ينظر: ماريو باي ، **أسس علم اللغة** ، تر : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط8 ، 1419هـ – 1998م، 53 وما بعدها.

[ix] – ينظر: **في فقه اللغة**، 81.

[x] – ينظر: **في فقه اللغة**:78.

[xi] – أيوب؛ عبد الرحمن، وعمر؛ أحمد مختار، محاضرات في اللغة، **مجلة القاهرة**، بغداد،ع14 آب، 1968، 67.

[xii] – ينظر: الوعر، مازن، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**،دار طلاس، سورية، 1988م.364. عون ، نسيم، **الألسنية**، محاضرات في علم الدلالة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 2005م .(الهامش)،129. لانسون، مابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، نقله الى العربية محمد مندور، دار العلم للملايين، 1946م، اهداءات أسرة د.عبدالرحمن بدوي، 2002م.68. ومطلوب؛ أحمد، مصطلح اللسانيات، **مجلة لغة الضاد**، منشورات المجمع العلمي ، 1999، 110/2.

[xiii] – ينظر : خليل، حلمي، **العربية وعلم اللغة البنيوي**، " دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث" ،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، 2000م، 127وما بعدها.

[xiv] – ابن عقيل(ت769هـ)؛ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بغداد، ط14، 1986م، 190/2

[xv] – ينظر: القزويني (ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن،**الإيضاح في علوم البلاغة**، المعاني والبيان والبديع،دار الكتب العلمية، ط1، 1980م، 92-93. المخزومي؛ مهدي، **في النحو العربي–نقد وتوجيه**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1964م، 234. وعباس؛ فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها– علم المعاني**– دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط7، 2000م، 115

[xvi] – ينظر:ابن عقيا، **شرح ابن عقيل**، 214/2 وما بعدها

[xvii] – ينظر: سيبويه (ت180هـ)؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هاروون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 131/2. المبرد(ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 107/4. ابن السراج (ت316هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، بغداد، 1973م، 278/1. الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 405/2. الصبان(ت1206هـ)؛ محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 269/1

[xviii] – عمايرة؛ خليل أحمد، **في التحليل اللغوي– منهج وصفي تحليلي**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987م، 217

[xix] – **الأحاديث القدسية** دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، القاهرة، مصر، 2003م، 81

[xx] – **الأحاديث القدسية**، 250 .

[xxi] – **الأحاديث القدسية**، 23

[xxii] – **الأحاديث القدسية**، 345 (حديث الشفاعة)

[xxiii] – **الأحاديث القدسية**، 25 حديث (كثرة قول النبي –صلى الله عليه وسلم– سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، وأتوب إليه)

[xxiv] – **الأحاديث القدسية**، 384 حديث (الشفاعة)

[xxv] – **سورة النصر**، 1-3

[xxvi] – **الأحاديث القدسية**، 384

[xxvii] – **الأحاديث القدسية**، 384 حديث (الشفاعة)

[xxviii] – **الأحاديث القدسية**، 360

[xxix] – **الأحاديث القدسية**، 96

[xxx] – **الأحاديث القدسية**، 96

[xxxi] – **الأحاديث القدسية**، 374

xxxii – **الأحاديث القدسية**، 128

xxxiii – **الأحاديث القدسية**، 374

xxxiv – **الأحاديث القدسية**، 26

xxxv – **الأحاديث القدسية**، 250

xxxvi – **الأحاديث القدسية**، 301-302

xxxvii – **الأحاديث القدسية**، 26

xxxviii – **الأحاديث القدسية**، 250

xxxix – **الأحاديث القدسية**، 301-302

xl – في الجمل الثلاثة الأولى تقدم الخبر على مبتدئه وجوباً؛ لتحقق الشرطان، وهما: أولهما مجيء المبتدأ نكرة، وثانيهما كون الخبر شبه جملة.

xli – **الأحاديث القدسية**، 215 حديث (ما يكون من الفتن)

xlii – **الأحاديث القدسية**، 257 حديث (ما جاء في طلب موسى الاجتماع بالخضر –عليهما السلام–)

xliii – **الأحاديث القدسية**، 87 حديث (ما جاء في أن الخشية من الله تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب)

xliv – **الأحاديث القدسية**، 87

xlv – **الأحاديث القدسية**، 146 حديث (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته).

xlvi – **الأحاديث القدسية**، 170 حديث (دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته عشيّة عرفة بالمغفرة)

xlvii – **الأحاديث القدسية**، 208 حديث (الإنكار على الإسراف في القصاص، وإنما القصاص من الجاني).

xlviii – **الأحاديث القدسية**، 208

xlix – **الأحاديث القدسية**، 291 حديث (من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)

l – ينظر: ابن يعيش (ت643هـ) موفق الدين يعيش بن علي، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 25/9. وابن هشام الأنصاري (ت761هـ)؛ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، 228/1

li – يسميها النحاة البصريون (لام الابتداء) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 276/2. الأزهري (ت905هـ)؛ خالد بن عبد الله، **شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك**، تصيح ومراجعة، لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى، دار الفكر، بيروت، 222/1. وعند الكوفيين واقعة في جواب قسم مقدر؛ لذا سموها بـ(لام القسم) أو (لام اليمين). ينظر: الأنباري (ت 577هـ): كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط2، 1953م، 299/1

lii – الرماني (ت384هـ)؛ أبو الحسن علي، **معاني الحروف**، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة، ط3، 1984م، 41.

liii – الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980م، 471/2

liv –[6:الرعد] .

lv –[46:فصلت].

lvi – ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، 228/1

lvii – الجرجاني (ت 471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، 252

lviii – **الأحاديث القدسية**، 170. عشية عرفة دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتقعاً بأن يُغفر لأمة محمد – صلوات الله عليه– فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكه في ذلك، فأجابهم مؤكّداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر فقال:«إنّ عَدُوَّ اللهِ إبْليسَ لما عَلِمَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجابَ دُعائي وَغَفَرَ لأُمَّتي، أَخَذَ التُّرابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلى رَأْسِهِ، وَيَدْعو بِالوَيْلِ والثُّبورِ، فَأَضْحَكَني ما رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ» سبق شرحه.

lix – أي: المغاضب المجادل. ابن منظور، **اللسان**، (رغم)

lx – **الأحاديث القدسية**، 202 حديث (ثواب قبض الولد) باب (من جاء فيمن أصيب بسقط)

lxi – **الأحاديث القدسية**، 202 حديث (ثواب قبض الولد)

lxii – **الأحاديث القدسية**، 287 حديث (إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره)

lxiii – **الأحاديث القدسية**، 287

lxiv – **الأحاديث القدسية**، 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

lxv – **الأحاديث القدسية**، 308

lxvi – **الأحاديث القدسية**، 376 حديث الشفاعة

lxvii – **الأحاديث القدسية**، 221 حديث (إن عبداً أصاب ذنباً فقال: ربّ أصبت ذنباً)

lxviii – في حديث (يلقى العبد ربّه. يقول رب العزة له: أم أكرمك، وأسوّدك، وأزوجك...؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني). **الأحاديث القدسية**، 395

lxix – **الأحاديث القدسية**، 21 حديث (ما جاء في فضل ذكر الله تعالى وكلمة التوحيد)

lxx – ينظر:الأنباري، **الإنصاف**، 197/1. وابن منظور، **لسان العرب**، (أنن)

lxxi – ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (أنن) . والخطيب؛ طاهر يوسف، **المعجم المفصل في الإعراب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، 342

lxxii – يحشرون إلى جهنم كأنها سراب، 367 ، حديث (الشفاعة)



lxxiii – **الأحاديث القدسية،** 366 حديث (الشفاعة)

lxxiv – **الأحاديث القدسية،** 345 حديث (الشفاعة)

lxxv – عتقاء الرحمن من النار.

lxxvi – **الأحاديث القدسية،** 347 ، حديث (الشفاعة)

lxxvii – نستثني (لكن) الخفيفة لأنها دخلت على الفعل، واسم الفعل في السياقات القدسية: «ولكن ائتوا خليل الرحمن... ولكن ائتوا موسى... ولكن ائتوا محمداً»(ص351). و: «ولكن عليكم بموسى...ولكن عليكم بعيسى...ولكن عليكم بمحمد...»، 356، تعد (لكن) حرف عطف، واختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بها بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، **الإنصاف،** 484/2-488

lxxviii – ينظر: ابن يعيش(ت643هـ)؛ الشيخ موفق الدين، **شرح المفصل،** عالم الكتب، بيروت، 80/8. اختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بلكن بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، **الإنصاف،** 484/2-488

lxxix – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxx – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxi – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxii – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiii – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiv – **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxv – **الأحاديث القدسية،** 291 حديث (من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)

lxxxvi – **الأحاديث القدسية،** 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم –عليه السلام- أخرج بعث النار من ذريتك)

lxxxvii – ينظر: المبرد، (ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب،** تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، 389/4. وابن يعيش، **شرح المفصل،** 87/2.

lxxxviii – ينظر: الجرجاني(ت471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز،** تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، 328. والسكاكي(ت626هـ)؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم،** تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ط1، 1981م، 507. الزركشي(ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، **الاتقان في علوم القرآن،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 149/3.

lxxxix – ينظر: القزويني(ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 122-123. وطبانة؛ بدوي، **معجم البلاغة العربية**، جامعة طرابلس، كلية التربية، 1975م، 709/2. وعباس؛ فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها–علم المعاني–**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، 372.

xc – يس، 15

xci – فاطر، 23

xcii – التوبة، 28

xciii – ينظر: الجواري؛ أحمد عبد الستار، **نحو المعاني**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987م،120-130 بتصرف.

xciv – فاطر، 22، 23

xcv – الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 333-334

xcvi – النازعات، 45

xcvii – الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 330-331 بتصرف

xcviii – ينظر: عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، 378

xcix – القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 126

c – ينظر: **الإيضاح**، 125

ci – [البقرة:173]

cii – الجواري، **نحو المعاني** 125

ciii – ابن هشام، ص 308

civ – ينظر: القزويني، **الإيضاح**، **130**. الهاشمي، جواهر البلاغة، 155

cv – ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 128/2.

cvi – الأحاديث القدسية، 251 ، حديث(حرمت الظلم على نفسي)

cvii – الأحاديث القدسية، 252، حديث (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)

cviii – الزمر، 9



cix – الجرجاني، دلائل الإعجاز، 333–357 بتصرف

cx – ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 223/4. المبرد، **المقتضب**، 118/4. وابن يعيش، **شرح المفصل**، 107/8. ابن هشام، **مغني اللبيب**، 296/2. الاستربادي(ت686هـ)؛ أبو محمد عبدالله بن جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، **شرح الرضي على الكافية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، 226/1و221/2

cxi – **الكتاب**، 310/3

cxii – الزركشي، **الاتقان في علوم القرآن**، 241/4

cxiii – ينظر القزويني، **الإيضاح**، 125.

cxiv – **الأحاديث القدسية**، 158 ، حديث (التغليظ في الحَيْف والرشوة)

cxv – **الأحاديث القدسية**،201، حديث (ثواب قبض الولد)

cxvi – الرَّقْمَة تعني: الهَنَة الناتئة في ذراع الدّابّة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها، وقيل الرقمتان اللتان في باطن ذراعي الفرس، لا تنبتان الشعر. والمرقوم من الدواب: الذي في قوائمه خطوط كيّات. وفي التهذيب: المرقوم من الدواب الذي يكوى على أَوْظِفَتِهِ،كيّات صغاراً، فكل واحدة منها رَقمة. وينعت بها الحمار الوحشي لسواد على قوائمه. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رقم)

cxvii – **الأحاديث القدسية**، 309 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

cxviii – **الأحاديث القدسية**، 435 حديث (يلقى على أهل النار الجوع)

cxix – **الأحاديث القدسية**،23–24 حديث (إذا قال العبد: لا إله إلا الله، يقول الله: صدق عبدي)

cxx – **الكتاب**، 104/3

cxxi – ذهب علماء العربية إلى أن جملة القسم تكون جملة فعلية أو اسمية وفق تقدير المحذوف، مثل: (أقسم) بالله، ولعمرك (قسمي)...المحذوف ما بين القوسين. للمزيد ينظر: سيبويه، الكتاب، 104/2، 3/ 497. ابن يعيش، **شرح** المفصل، 91/9. ابن عصفور(ت669هـ)؛ أبو الحسن علي بن مؤمن، **المقرب**، تحقيق عبد الله الجبوري وصاحبه، مطبعة العاني، بغداد، 1971م، 204/1. المالقي(ت102هـ)؛ أحمد بن عبد النور، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1975م، 171. ابن أم قاسم المرادي(ت749هـ)؛ حسن بن قاسم بن عبد الله، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق طه محسن، بغداد، 1976م، 117، 144، 185. شعير؛ محمد رزق، **الجمل المحتملة للاسمية والفعلية**، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر.(د.ت)، جملة القسم 85 وما بعدها

cxxii – سيبويه، **الكتاب**، 104/3

cxxiii - للمزيد: ينظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، 90/9 وما بعدها

cxxiv - **الأحاديث القدسية**، 162 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxv - **الأحاديث القدسية**، 163 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxvi - **الأحاديث القدسية**، 264 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxvii - **الأحاديث القدسية**، 265 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxviii - **الأحاديث القدسية**، 265- 266 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxix - **الأحاديث القدسية**، 196 حديث (صفة النبي صلى الله عليه وسلم- في التوراة)

cxxx - **الأحاديث القدسية**، 255 حديث (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري)

cxxxi - **الأحاديث القدسية**، 358 حديث (الشفاعة)



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

الاستلام: 2012/10/2 القبول: 2012/12/1 النشر: 2013/1/15

A VISION FOR THE PREPARATION OF THE ARABIC BOOK OF WORSHIP FOR ADULT ADULTS: A THEORETICAL STUDY

رؤية لإعداد كتاب العربية للعبادة للراشدين الأجانب: دراسة نظرية

حسين محمد جميل

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

Salihtingari2003@yahoo.com

الملخص الدراسة

يستهدف هذا المقال استعراض بعض الدراسات التي تمت في مجال تعليم اللغة العربية للراشدين بوصفها لغة أجنبية. وترمي الدراسة إلى تحديد مبادئ مهمة تعين في إعداد كتاب لتعليم اللغة العربية لأولئك الراشدين؛ بغرض فهم، وممارسة العقيدة والآداب الدينية الإسلامية. ووضح المقال بعض مبادئ وأصول المواد اللازمة لتعلم اللغة العربية لأغراض محددة.



Abstract

This article reviews the literature on the relatively field of principals for preparing language Arabic book materials for Islamic worship. It reports the some origins and development of the field and then reviews the literature on the evaluation, adaptation, production and exploitation of learning materials. Much of the literature focuses on materials for learning Arabic L2 for specific purposes.

مقدمة:

إنّ لتعليم لمنهاج تعليم اللغة للكبار خصائصه ومميزاته؛ لذلك يجب مراعاة عدة قواعد أساسية للتعليم في هذا الإطار، منها: تجنب التعليم النمطي المتجمد الذي يعتمد على التقليد الآلي، والتركيز على التعليم المتنوع الابتكاري المنفتح إلى بيئة المتعلم وتطلعاته وخبرته الحياتية. ويلزم كذلك أن يلاءم المنهاج حاجات كبار السن؛ لأنه يركّز على مهارات يمكن تطبيقها في الحياة اليومية. كما أنه يهدف إلى إكساب ثقافة أساسية للكبار عديمي الثقافة من أجل دمجهم في المجتمع المثقف دينيا. ومن أهدافه أيضا زيادة الوعي لأهمية التعلم المتواصل من المهد إلى اللحد. ومشكلة البحث هي عدم وجود مواصفات لمنهج اللغة العربية للعبادة للراشدين بماليزيا يوافق تعليم غير العرب، ويلبي حاجاتهم ورغباتهم. وبناء على ذلك كيف يمكن صياغة مواصفات تفي بذلك الغرض؟ ومن حيث أهمية البحث أن تستمد الدراسة أهميتها من أهمية الدراسات والبحوث والجهود المتعلقة بإعداد مناهج العربية للناطقين بغيرها، وذلك في وقت احتلت فيه اللغة العربية مكانة سامية في عالم اليوم وضرورة وجود مثل هذه الدراسة لمتعلمي اللغة العربية الأجانب بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ومن الرجاء أن تشكل مفردات اللغة العربية صعوبات لدارسي اللغة العربية من أجل العبادة، وتشكل مهارة قراءة النصوص الأصلية في أمهات الكتب صعوبات أخرى لأولئك الدارسين ويؤدي تصميم مواصفات المقرر الدراسي دوراً مهماً في حل مشكلة تعليم العربية لغير أهلها. وهناك بعض مصطلحات مهمة التي

وردت في هذا البحث مصطلحات ينبغي الوقوف على دلالاتها، وهي:. منهج أو منهاج(curriculum) : " هو كل دراسة أو نشاط أو خبرة يكتسبها، أو يقوم بها المتعلم تحت إشراف المؤسسة وتوجيهها سواء داخل قاعة الدرس أو خارجها " [1] . البرنامج الدراسي : تقابل كلمة (Syllabus) الإنجليزية، ويعني الباحث بها هنا" الخطة الشاملة التي ينبغي على المدرس أن يدرسها، وعلى الطالب أن يتعلمها باستخدام الوسائل المتاحة، كالمواد التعليمية، وطرائق وأساليب التدريس، والتقنيات التربوية وغيرها"[2]. و الحاجات (Needs) : " البواعث والدوافع أو العوامل التي تولِّد عند الدارس إحساساً داخلياً ورغبة في تعلم لغة معينة . وتعرف الحاجات إجرائياً في هذا البحث بالاستجابات اللفظية المعلنة (الدرجات) لدى أفراد العينة على أداة الدراسة(استبانة الحاجات اللغوية للطلاب) التي أعدها الباحث لهذا الغرض" [3]. والتقويم (Evaluation) : عملية جمع وتصنيف وتحليل وتفسير بيانات أو معلومات كمية أو كيفية بقصد استخدامها في إصدار حكم أو اتخاذ قرار.

الدراسات السابقة

وجد الباحث نفسه ملزماً بتفصيل الحديث في الدراسات السابقة لقلة ما كتب في هذا المجال أولاً، ولتبيين صورة ما كتب تبياناً يهيئ لهذا التيار الظهور والاستمرار ثانياً. وقسّم الباحث الدراسات السابقة إلى قسمين، وهما:

أ. الدراسات النظرية ب . الدراسات التطبيقية

ثم رتّب النوعين وفق أهميتهما لدراسته، وجعل الدراسة النظرية هي الأساس الذي تقاس عليه الدراسة التطبيقية. وباختصار فقد عالج الباحث الدراسات السابقة في ضوء الآتي:

1 . تكوين أساس نظري أو إجرائي لفروض البحث.

2 . تمثيلها لمشكلة البحث.

3 . توضيح انعكاسها على مشكلة البحث.

4 . توفيرها لأساس منطقي يبرر الحاجة للدراسة.

5 . علاقتها بموضوع البحث.

6 . سيرها وفق نمط منطقي بحيث تأتي الدراسات الأكثر أهمية في البداية، ثم تليها الدراسات الأقل أهمية .

7 . مقارنة نتائج الدراسات بعضها مع بعض ما أمكن ذلك.

(أ)

---

[1] توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، الطبعة الثالثة، عمّان، الأردن، دار المسيرة، 2002م، ص : 27 .

[2] نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية : تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988 م، ص : 203 .

[3] رشدي طعيمة، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة : مفاهيمه وأسسه وتنظيماته، ندوة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، 4 . 6 يناير 2003 م، ص : 6 .

1- تقويم برنامج تعليم اللغة العربية للكبار الناطقين بغير العربية من وجهة نظر الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا نموذجا.

وقع اختيار الباحثين على موضوع تقييم مدى قوة برنامج تعليم اللغة العربية للماليزيين الكبار وفعاليته. سعى هذا البحث عبر المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي إلى الإجابة عن السؤال الرئيس: ما مدى فعالية برنامج التعليم للمتعلمين؟ وقد طرح الباحثان استبيانا على عينة من الدارسين قدرها 42 دارسا، وقد أفضت الدراسة إلى نتائج متعددة من أهمها: أن البرنامج فعّال، والأمور التي يراعيها هذا البرنامج من زمن التدريس، ومكانه، وهيئة التدريس، وعدد المتعلمين في الفصول الدراسية، والمواد التعليمية، وطرق التعليم ووسائله، ورسوم التعليم تشبع حاجات المتعلمين وميولهم، ويقبلون على الدراسة بانشراح غير أن الباحثين يوصيان بإعادة النظر في بعض النواحي المتعلقة بطرق التعليم، واستخدام وسائله من أجل تطوير البرنامج.

1. نحو لغة عربية تخصصية [4]:

هي الورقة التي قدمها (علي أحمد عبد الله) لندوة تطوير اللغة العربية. ويرى في ورقته أنّ تعليم اللغات التخصصية للأجانب، ميدان جديد حديث المنشأ ما يزال على أول الطريق. كما يرى أن الغرب قد سبق العرب في هذا المضمار، وهو أمر لا يتفق الباحث معه فيه كما سبق. ويرى أيضاً أن الساحة العربية خالية من أية جهود تبذل من أجل توفير لغة تخصصية تعلَّم للأجانب.

وتعرّض في ورقته لمسيرة اللغات التخصصية غير العربية، وكيفية رصد حاجات الدارسين ثم تحليلها. كما تعرّض لما ينبغي أن تكون عليه مناهج اللغة العربية التخصصية بحيث تسدّ العجز الحالي الذي خلقته الكتب المطروحة على الساحة آنئذٍ، بحيث تواكب التطور الذي طرأ على تعليم اللغات للأجانب والذي سبقت فيه دول عديدة، وهذا مما يتفق الباحث فيه مع صاحب الورقة.

وعن تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بدولة ماليزيا، تصدى بالتفصيل لبيان عناصر مناهج مقترحة لتعليم العربية لأغراض خاصة. ونادى بتغيير ما هو قائم منها بحجة عدم صلاحيته.

وعرض صاحب الورقة سلسلة من الدروس العربية التخصصية كان قد أعدها خصيصاً لطلاب الجامعة ليجعل دراسته حية وليقدم نموذجاً عملياً للغة التخصصية.

[4] علي أحمد عبد الله، نحو لغة عربية تخصصية، ندوة تطوير اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ماليزيا، أغسطس 1990م.

ويرى الباحث فيما قدمه (علي أحمد عبد الله)، خطوة متقدمة في تعليم اللغة العربية لأغراض محددة بل محاولة موفقة. فقد نفذ مباشرة إلى تحديد مناهج لتعليم العربية لأغراض محددة منبثقة من أهداف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تتبع لجامعة الدول العربية، حيث خرج ينادي بفكرة منهج قومي ومنهج عقدي. وهذه جميعاً تصبّ فيما تدعو إليه الجامعة العربية، وما يدعو إليه الباحث، ولكنه لم يقم بأية دراسة ميدانية لتحليل حاجات الدارسين وبالتالي لم ترد نتائج لدراسته.

2. تدريس اللغة العربية في سياق إسلامي:

هي الورقة البحثية التي قدمها (رشدي أحمد طعيمة) (*) بعنوان:" تدريس اللغة العربية في سياق إسلامي" [5].

واستهدفت دراسته على وجه التحديد تقويم تصور الأسس والمعايير والملامح الأساسية، لبرنامج يتم فيه تعليم اللغة العربية كلغة ثانية في مجتمعات إسلامية ناطقة بغير العربية، تجتمع لديها من عناصر التشابه أكثر مما تفرق بينها مواطن الاختلاف. وذكر أنّ حديثه في هذه الورقة لا يعدو حدود الأطر العامة التي يتوقع اختلاف محتوياتها وأساليب تطبيقها من مجتمع إلى آخر انطلاقاً من مفهوم السياقية. وبهذا الحديث تتفق رؤى (طعيمة) مع ما ذهب إليه الباحث في مقدمته من أنه لا يوجد برنامج أمثل يصلح لتعليم اللغات الأجنبية لجميع الدارسين مع اختلاف الزمان، وتباعد المكان، وفوق ذلك كله اختلاف الحاجات. وانطلاق (طعيمة) من مفهوم السياقية له ما يبرره، فمفهوم السياقية هو العامل الأساس الذي يحدد فلسفة كل برنامج وخصائصه بل أنسب الإجراءات لتنفيذه تحقيقاً للأهداف التي حددت له. ويتسع مفهوم السياقية ليشمل كل الظروف المحيطة بالبرنامج، فمنها باختصار البيئة التي يتم فيها تعليم اللغة سواء أكانت أفراداً أم إمكانات مادية أو فنية أو ثقافية.

وبيّن (طعيمة) بجلاء أنّ الحديث عن إعداد برنامج لتعليم اللغة الثانية لفئة معينة من الدارسين تجمع بينهم سمات محددة، مستهدفين غايات مشتركة، ينتمي إلى برامج تعليم اللغة لأغراض خاصة. وهذا مما يدعم فلسفة هذا البحث وأهميته، إذ لم ينطلق ما ذهب إليه (طعيمة) إلا من حاجة ماسة. ثم عرض (طعيمة) السمات المميزة لمفهوم تعليم اللغة لأغراض خاصة مقابل مفهوم تعليم اللغة الثانية بشكل عام حيث قال: " ليست القضية عند تعليم العربية لأغراض خاصة هي في نوع اللغة التي نعلمها للدارسين، بمعنى أنْ نستخلص صيغاً لغوية معينة في مقابل صيغ لغوية أخرى، أو أنْ نبتكر لهذا النوع من التعليم نحواً يختلف عن النحو العربي الذي نعلِّمه في برامج أخرى. ولئن كانت

---

* مستشار وزارة التعليم العالي لكليات التربية، مسقط، سلطنة عمان، عند كتابة هذا البحث.

[5] رشدي أحمد طعيمة، تدريس اللغة العربية في سياق إسلامي، ندوة تطوير اللغة العربية، بروناي، سلطنة بروناي دار السلام، 1992م.

هناك سمات خاصة للغة المتعلمة في برامج العربية لأغراض خاصة، فليس معنى ذلك أنها ليست لغة عربية، أو أنها لا تقف على الأرض التي تقف عليها اللغة المعلمة في برامج أخرى " [6].

وقال في موضع آخر " إنّ تعليم العربية في المجتمعات الإسلامية الناطقة بلغات أخرى يعد تعليماً للعربية التخصصية مادام الإطار الديني هو الذي يحكم فلسفة هذه اللغة في هذه المجتمعات. وتكمن منطقية هذا المنطق في تعريفنا لمفهوم العربية التخصصية، وهو كل منهج أو برنامج يتم فيه تعليم اللغة لجمهور معين ذي أهداف محددة وفي سياق خاص"[7].

ويتضح مما سبق تسليمه بهذا المفهوم، ومما يؤكّد ذلك ما قاله في المقام نفسه حول منهج العربية التخصصية وفي الورقة نفسها : " من الصعب بمكان تقديم تصور مطلق لمنهج يتم فيه تعليم العربية التخصصية في مختلف المجتمعات، وذلك أن مفهوم تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة يتسع حتى ليكاد يشمل البرامج التي تستند إلى مفهوم تفريد التعليم أو التعلم الفردي، والتي يتم تفصيلها ليس لأغراض خاصة فقط أو لجمهور خاص أيضاً ... ومن ثم تتعدد هذه البرامج بتعدد أنواع الجمهور الذي يتعلم اللغة " [8]وهذا في رأي الباحث تسليم آخر حالفه الصواب.

ثم استعرض (طعيمة) المفاهيم والخطوات التي ينبغي . في رأيه . أن تسير عليها إجراءات إعداد منهج لتعليم العربية لغة ثانية في ضوء حاجات الدارسين. وأجمل تلك الإجراءات في ثماني خطوات وهي:

1- حاجات الدارسين.
2- الخطة الدراسية.
3- الأهداف.
4- المحتوى.
5- أساليب التدريس.
6- التقويم.
7- التجريب.
8- التطبيق.

[6] المرجع السابق نفسه، ص :5 .
[7] المرجع السابق نفسه، ص : 6 .
[8] المرجع السابق نفسه، ص : 6 .

ثم ختم (طعيمة) ورقته بحديث مفصّل مدعّم بالدراسات وخبرته وخبرة الآخرين، عن الأسس التي ينبغي – في رأيه – أن تستند عليها عملية بناء مناهج اللغة العربية بوصفها لغة ثانية في المجتمعات الإسلامية التي ينطق أبناؤها لغة غير العربية مع التركيز على خصوصيات هذه المجتمعات.

والأسس التي فصّلها هي :-

1- الأسس النفسية.
2- الأسس التربوية.
3- الأسس الاجتماعية.
4- الأسس اللغوية.

وفي رأي الباحث، أنّ (طعيمة) كان مُحقاً فهذه تمثّل الأسس العامة لبناء المناهج من الناحية التربوية. ويؤخذ على ما قدمه ما يلي :-

1- لم يفصّل الحديث في كيفية تحليل حاجات الدارسين، وإنما ذكر مجملاً الاستعانة بوسائل خصصت لذلك كالاستبانات وغيرها. بل لم يقدم نموذجاً واحداً لاستمارة تحليل حاجات الدارسين.
2- ولم يبّين في ورقته نموذجاً مجملاً أو مفصّلاً لمقرر دراسي لتعليم اللغة العربية لغرض إسلامي يمكن أن يبني حوله المنهج كله. فضلاً عن ذِكر المداخل في تصميم المقررات عند تعليم العربية التخصصية.
3- لم يذكر المصادر التي يمكن أن تعين معلم اللغة العربية التخصصية لأغراض إسلامية، ولم يبين قبل ذلك كله مَنْ هو معلم اللغة العربية التخصصية لغرض إسلامي؟ وما درجة إعداده المهني واللغوي والثقافي؟

3. تعليم اللغة لأغراض أكاديمية [9] :

تعدُّ ورقة (مختار الطاهر حسين) من الدراسات النظرية البحتة التي تتفق مع إطار الباحث النظري. فالاستفادة من المراجع الإنجليزية الخاصة بتعليم اللغة الإنجليزية لأغراض علمية، تتجلى بوضوح في هذه الورقة. بل لا تكاد تجد في مراجعه التي أحصاها في آخر ورقته مرجعاً عربياً واحداً لدراسة عربية أفاد منها كاتب الورقة، وهذا مما يدل على ندرة ما كتب في المجال " وبالرغم من الاهتمام بهذا المدخل في كثير من اللغات، فإنّ نصيبه في العربية قليل، إذ ظهرت محاولات محدودة في هذا الميدان " [10]. هذا وقد تناول (مختار) الأسس النظرية لتعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية بصورة دقيقة اعتمد فيها اعتماداً كبيراً على كتاب " هتشنسون وألن ووترز English For Specific

[9] مختار الطاهر حسين، تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية، ورقة عمل قدمت في مؤتمر قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لمبور، ماليزيا، 24 . 26 أغسطس 1996 م .

[10] المرجع السابق نفسه، ص : 2 .

Purposes" . بيد أنه كان يراعي خصوصية اللغة العربية خاصة في مجال إعداد المادة التعليمية وتدريباتها وأنشطتها المصاحبة.

ولم يحدد (مختار) مشكلة لدراسته بصورة واضحة ومباشرة كما لم يحدد أيضاً أهميتها، بل دخل مباشرة بمقدمة لاتجاه تعليم اللغات لأغراض خاصة ولأغراض أكاديمية. ومن يستقرئ ورقته يجد أنه أراد تقديم تحليل لتصوره عن ماهية تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية. وقد أحسن التحليل . خاصة . في عرضه لكيفية تحليل حاجات الدارسين مبيناً الهدف من تحليل الحاجات. كما عرض استبانة لتحليل الحاجات، وهذه الخطوة هي جزء أساسي مما ينوي الباحث استخدامه أداة أساسية لتصميم مقرره، وبناء منهاجه.

كذلك لم يقم (مختار) بدراسة ميدانية تطبيقية لأساسه النظري، كما لم ترد في ورقته نتائج أو توصيات، غير أنه أشار إلى أمر مهمٍ ربما يراه الباحث بمثابة توصية، وذلك حين ذكر قلة الاهتمام بمهارة الكلام في برنامج تعليم اللغة لأغراض أكاديمية باعتبار أنها تأتي في نهاية حاجات الدارس. وفي هذا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه (مختار) إذ لا بد من الاهتمام بهذه المهارة الإنتاجية التي تدل على مدى إتقان الطالب للغة.

ولم يرد في ورقة (مختار) أي مثال لكيفية تصميم المقرر، أو بناء المنهاج في تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية، ولكن مما يحمد له التعرض للدور الذي سيقوم به معلم اللغة العربية لأغراض أكاديمية، وهذا جزء أصيل في المنهاج من حيث بناء المادة التعليمية ومن حيث تنفيذها.

1- تعليم اللغة العربية لأغراض دينية:

وسعت إلى الكشف عن بعض مواقع الإنترنت بالعربية لأغراض دينية. وقد اتكأت الدراسة على المنهج الوصفي، إذ قدّمت وصفًا دقيقًا للغة العربية لأغراض دينية، ومن ثم أتت ببعض مواقع "الويب" بوصفها وسائل تعليمية تعين على فهم الدين الإسلامي. ومن المواقع التي أُختيِرت تعليميًا "موقع القرضاوي" (alqardhawi.net)، وموقع "إسلام أون لين" (islamonline)، وموقع "الإسلام دوت كوم" (islam.com) وغيرها. والجدير بالذكر، أن من أسس انتقاء هذه المواقع كونها متكاملة تشمل عدة معارف إسلامية، ولأنها مشهورة لدى زوار كُثر في بقاع العالم. ومن النتائج التي توصّلت إليها الدراسة توافر مواقع الإنترنت الإسلامية في سبل الاستفادة منها في مجال التعلم والتعليم عامةً، ومجال العربية لأغراض دينية خاصةً.

2– تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة: بناء وحدات دراسية لطلاب التخصص في العقيدة [11]:

استهدف هذا البحث وضع المعايير والأسس لتعليم اللغة العربية للطلاب الراغبين في التخصص في العقيدة، مع وضع دروس نموذجية يناء على تلك المعايير. ويمكن تلخيص أهداف رسالة (محمد أبو الكلام) فيما يلي وكما أوردها : "

1 . الإسهام في إسلامية اللغويات التطبيقية بربطها ربطاً مباشراً بالمواد الإسلامية.

2 . بناء وحدات دراسية لطلاب التخصص في العقيدة على منهجية سليمة.

3 . تعريف الدارسين بأكبر قدر ممكن من المفردات والتراكيب المتعلقة بالعقيدة في سياقات حسية وطبيعية وإلقاء الضوء على القواعد النحوية والصرفية والأساليب الواردة في هذه المفردات والتراكيب ." [12] .

وعن أهمية بحثه ذكر (أبو الكلام) أن تعلم اللغة العربية شرط أساسي للتعمق في العلوم الشرعية من دراسة للقرآن والسنة والفقه والعقيدة وغير ذلك. واستشهد على ذلك بما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . على وجوب تعلم اللغة العربية لطالب العلوم الشرعية، حيث قال ابن تيمية: " ... فإنّ نفس اللغة العربية من الدين، معرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. "[13]

وأهم النتائج التي توصل إليها (أبو الكلام):

1 . أنه أكد ضرورة التعامل مع المصادر الأصلية للعقيدة دون الاستعانة بالترجمة، وذلك عند كتابة المادة التعليمية. وعزى ذلك إلى أنه يقلل الأخطاء التي يمكن الوقوع فيها في فهم مضمون النص.

2 . قام (أبو الكلام) ببناء وحدات دراسية لتعليم اللغة العربية الخاصة لطلاب العقيدة دون أن يقوم بدراسة ميدانية لحاجات الدارسين وهذا مما يخالف فلسفة مدخل تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية.

3 . تأكيداً لما كره الباحث، قال (أبو الكلام) في نتائجه: " لم أجد دراسة مباشرة حول العربية الخاصة لطلاب العقيدة ... " [14]

---

[11] محمد أبو الكلام آزاد، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة : بناء وحدات دراسية لطلاب التخصص في العقيدة . بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، بحث غير منشور، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ماليزيا، مايو 1998م.

[12] المرجع السابق نفسه، ص : 4.

[13] المرجع السابق نفسه، ص : 5 .

[14] المرجع السابق نفسه، ص: 4.

3– تصميم وحدات دراسية لتعليم اللغة العربية للطلبة المتخصصين في الشريعة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا [15] :

عالج (محمد نظام) مشكلة بحثه بقوله: "إن السبب الرئيسي وراء تعثر الطلبة في استيعاب اللغة العربية، هو غياب المنهج المصمم الخاص لتخصص من التخصصات " [16] . وعن أهمية بحثه فإنه لخصها بقوله: " إن الاهتمام بتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة يجذب الدارسين إلى تعلم اللغة العربية. وفي الوقت نفسه يسهّل هذا البرنامج عملية تعليم اللغة العربية "[17].

وما ذهب إليه (محمد نظام) بحكمه على سبب تعثر الطلاب لا يستند إلى دليل أو دراسة، غير أنّ حديثه عن أهمية بحثه له مكانه وربما تثبته استجابات المفحوصين في استبانة تحليل حاجات الدارسين التي سينفذها الباحث.

وأحسن (محمد نظام) في وضوح عرضه لأهداف بحثه حيث جملها فيما يلي:

1 . الاهتمام بتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة أو أكاديمية.

2 . الاهتمام بمهارة القراءة والكتابة لأغراض خاصة.

3 . البحث عن الأسس والمبادئ للمحتوى اللغوي والثقافي في تعليم اللغة العربية في كلية القانون.

ويتضح من هدفه الأول خلطه الظاهر بين مصطلح تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، وبين تعليمها لأغراض أكاديمية. ويتضح أيضاً من هدفه الثاني قصره تعليم اللغة العربية على مهارتين قبل أن يحلل حاجات الدارسين ولو كان هذا في فرضيات بحثه لقبل منه.

توصل (محمد نظام) خلال بحثه إلى نتائج مهمة، أهمها: أنّ قضية تعليم اللغة العربية لغرض خاص لم تتطور بشكل مطلوب كما تطور تعليم اللغة الإنجليزية، ونتيجة لذلك لم يتطور تعليم اللغة العربية لغرض القانون الإسلامي في الجامعة الإسلامية بماليزيا، حيث إن الطلبة المتخصصين في القانون الإسلامي يتعلمون اللغة العربية في مستوى المهارات الأربع كما يتعلمها إخوتهم الطلبة المتخصصون في بكلاريوس اللغة العربية أو معارف الوحي. ولكن (محمد نظام) لم يذكر في خلاصة بحثه نتائج بحثه الذي يهتم بتدريس اللغة العربية لأغراض القانون الشرعي.

4– تعليم العربية لأغراض علمية: بناء وحدات دراسية لتعليم العربية للمتخصصين في الفقه [18] :

---

[15] محمد نظام عبد القادر، تصميم وحدات دراسية لتعليم اللغة العربية للطلبة المتخصصين في الشريعة الإسلامية، بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير العلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها، بحث غير منشور، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، سبتمبر 2004 م.

[16] المرجع السابق نفسه، ص: 3.

[17] المرجع السابق نفسه، ص: 5.

[18] ندوة حاج داؤد، تعليم العربية لأغراض علمية: بناء وحدات دراسية لتعليم العربية للمتخصصين في الفقه، بحث تكميلي غير منشور لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، يوليو 1998م .

يهدف هذا البحث إلى تيسير تعليم العربية للتخصص في الفقه وتعويد الطلبة على استعمال لغة الفقه وأساليبها في الكتابة الفقهية. وافترضت صاحبة الرسالة أنّ بعض الطلاب ليسوا قادرين على استعمال اللغة في تخصصهم، فاللغة المستعملة في مجال تخصصهم هي اللغة الخاصة بمجال أكاديمي معين. "وذكرت أيضاً أن بعض الطلبة المتخصصين في الفقه يواجهون صعوبة في فهم لغة الفقه "[19]. ولكنها لم تذكر دراسة أو أساساً اعتمدت عليه في فرض تلك المسلمات. وأحسنت حين ذكرت في أسئلة بحثها ضرورة معرفة الأسس والمعايير التي ينبغي أن يبنى عليها اختيار المواد التعليمية لتعليم لغة الفقه، وهذا مما استفاد منه الباحث عند ذكر فرضيات بحثه. وتوصلت في نتائجها إلى نتيجة " وهي أن الفرق بين تدريس اللغة التخصصية، وبين تدريس اللغة الثانية بوجه عام يكمن في أن محتوى تعليم اللغة التخصصية يحمل مواضيع تناسب مجال تخصص الطلبة، بينما يمثل محتوى تعليم اللغة الثانية مواضيع عامة يمارسها الطلبة في الفصل "[20] وهذا خلط واضح بين عملية التدريس وبين المحتوى التعليمي. وربما لم يخالف الباحثة الصواب حين قررت أنّ تعليم اللغة التخصصية في أكثر الأحيان يركز على تنمية مهارة القراءة بقولها في النتائج : " ...ويركز تعليم اللغة التخصصية على تنمية مهارة القراءة لأن الغرض العلمي منه تعويد الطلبة على الأساليب المستخدمة في الكتب أو المراجع في مجال التخصص "[21] فغاب عنها أن حاجات الدارس هي التي تحدد نوع المهارة التي يحتاجها ومدى التركيز وفقاً لتلك الحاجة وليس ما يفترضه المعلم أو غيره .

ومن النتائج المهمة لبحث (ندوة) والتي يهدف الباحث للاستفادة منها ذكر الاعتماد على النصوص الأصلية بدلاً عن النصوص الميسرة لأنها تعرض الأساليب المستخدمة في الكتب والمراجع في المجال بصورة حقيقية.

5– تعليم العربية لأغراض خاصة: بناء وحدات دراسية لطلاب التاريخ العربي الإسلامي في فرنسا [22] :

حاول (لوسيان برانجي) محاولة أولية لتقديم دروس في تعليم العربية لأغراض خاصة في فرنسا. وقدم معلومات كثيرة حول نظرية تعليم اللغة لأغراض خاصة، ويفيد بحثه نظرياً القراء العرب الذين يجدون صعوبة في الحصول على المعلومات عن النظرية باللغة العربية. وأما في الجزء التطبيقي فقدم درساً قصيراً يحتاج إلى التطوير فعملية تصميم المادة التعليمية ليست بسهلة، بل تحتاج إلى الخبرة التعليمية الواسعة. ويبدو أنّ الدرس النموذجي الذي قدمه لا يختلف كثيراً عن درس تعليم مادة التاريخ نفسها. وعلى الرغم من ذلك فإنّ الدرس يعد محاولة تتسم بالجدية.

6– مناهج تعليم العربية لغير العرب : العربيّة جسرٌ للثقافة الإسلاميّة – تأليف د. ممدوح نور الدين محمد.

هذه السلسة للطلاب المسلمين الراشدين من غير العرب، الراغبين في تعلُّم اللغة العربية بهدف دراسة الإسلام

[19] المرجع السابق نفسه، ص : 3.

[20] المرجع السابق نفسه، ص : 112.

[21] المرجع السابق نفسه، ص : 112.

[22] لوسيان برانجي، تعليم العربية لأغراض خاصة : بناء وحدات دراسية لطلاب التاريخ العربي الإسلامي في فرنسا، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير (بحث غير منشور)، الخرطوم، السودان، 1984م.

من مصادره الأصلية.

المحتوى العام:

العربية جسر للثقافة الإسلامية (1)

العربية جسر للثقافة الإسلامية (2)

العربية جسر للثقافة الإسلامية (3)

العربية جسر للثقافة الإسلامية (4)

العربية جسر للثقافة الإسلامية (دليل المعلم والطالب)

بوسترات الحروف والأصوات والأرقام.

المادة الصوتية (14 شريطاً صوتياً 60 دقيقة، 90 دقيقة.

بطاقات الكلمات والتراكيب والمعاني باللغة المقابلة (500 بطاقة

مزايا السلسلة

أولاً : الاعتماد على الطريقة الكليّة في تعليم اللغة، وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

1. لا تعتمد على تعليم الحروف المفردة ثم الكلمات المركبة.
2. تبدأ بالكلمات بحيث يتم معرفة الكلمات الجديدة كتابة وسماعاً ونطقاً مع فهم معناها بالاستعانة بمقابلها من اللغة الأصلية للدراس.
3. الانتقال من الكلمات إلى التراكيب الميسّرة ومعرفة التراكيب كتابة ورسماً ونطقاً.
4. استخدام التكرار والتماثل للوصول إلى فهم كامل ومعرفة استيعاب تامّ للكلمات والتراكيب.
5. استخدام الطريقة الوظيفية لتعليم النحو والصرف وذلك من خلال التكرار للجمل والتراكيب مع تنويع استخدام العامل النحوي وبيان وظيفته من خلال الملاحظة والمقارنة.
6. الوصول إلى معرفة أساليب اللغة العربية وقواعدها من خلال الفهم والتطبيق والاستخدام بحيث تصبح المعرفة أقرب إلى السليقة اللغوية منها إلى الحفظ النظري.
7. الصلة الوثيقة بالثقافة الإسلامية، وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

أ- الاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بكثافة كبيرة في معظم التدريبات اللغوية.

ب - الإكثار من استخدام الكلمات والتراكيب ذات الصلة الوثيقة بالثقافة الإسلامية.

ج- إدراج كثير من المفاهيم والأحكام والآداب الإسلامية ضمن الأساليب والتراكيب التعليمية.

د- استخدام نصوص من الكتب التراثية الإسلامية في التفسير وغيره.

هـ- اختيار موضوعات إسلامية في القطع النثرية التعليمية.

8. التميز في التمارين والتدريبات والمراجعة التي تحقق استيعاباً وفهماً كاملاً وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

- تكثيف الأسئلة وتنويع التدريبات عقب كل درس.
- وضع أسئلة شاملة للمراجعة بعد كل وحدة ومجموعة من الدروس.
- تنويع الأسئلة بين استخدام السماع والقراءة والكتابة.
- شمول الأسئلة للعمليات العقلية المعرفية كالحفظ والفهم والمقارنة والتحليل والتقويم.

9) وجود القوائم الشاملة التي تعين على الاستحضار والمراجعة وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

1. وجود قائمة تضم مجموعة الكلمات وأضدادها.
2. وجود قائمة تضم مجموعة من المفردات وجموعها.
3. وجود قائمة تضم مجموعة من الأفعال وتصريفها.

10. الاعتماد على اللغة العربية والتدرج في الاستعانة باللغة الأصلية للدارس، وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

أ. الاستعانة بكلمات من اللغة الأصلية للدارس في الجزء الأول وبنسبة أقل في الجزء الثاني.

ب . استخدام اللغة غير العربية محصور في الكلمات وعدد قليل جداً في الأساليب والتراكيب.

ج . الجزء الثالث والرابع ليس فيهما أي استعانة بأي لغة سوى العربية.

د . الكلمات والأساليب غير العربية موضوعة بطريقة يمكن حذفها ووضع غيرها من أي لغة أخرى ليصبح الكتاب كما هو صالح ليفيد الناطقين بتلك اللغة.

11. وجود دليل الإرشاد للاستفادة من المنهج: وهو دليل المعلم والطالب، ويحتوي على ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول : ويحتوي على مقدمات أساسية للمعلمين والطلاب.

القسم الثاني : ويحتوي على أهداف كل جزء من أجزاء الدرس وخطوات تدريس جميع النصوص والتدريبات خطوة خطوة.

القسم الثالث : ويحتوي على إجابات لجميع الأسئلة التي وردت في الكتب الأربعة عدا تدريبات التعبير، وكذلك الاختبارات والمراجعات حتى يمكن أن يستخدمها المعلم لاختبار الطلاب.

12. إمكانية خدمة تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات كثيرة في وقت قصير وبجهد قليل وإيضاح ذلك في النقاط التالية:

أ. قلة المفردات والتراكيب باللغة الأجنبية.

ب . انحصار المفردات والتراكيب الأجنبية في الجزء الأول والثاني.
ج . تصميم الكتب بحيث يمكن تغيير تلك الكلمات من لغة إلى لغة أخرى
د . المادة التي تشكل معظم الكتب باللغة العربية تبقى دون تغيير وتؤدي دورها التعليمي كاملاً.
هـ . الطباعة على ورق فاخر وبأربعة ألوان واستخدام ذلك للتوضيح وسهولة التعليم.
و . تجميل الكتاب بالصور الملونة للمساجد الأثرية والحديثة من مختلف بلدان العالم الإسلامي.

ثامناً : قوة الأسلوب التعليمي وسهولته، وجمال الإخراج وجودته، وإيضاح ذلك في النقاط التالية:
1) تعليم جميع المهارات اللغوية اللازمة من القراءة والفهم والاستماع والكتابة.
2) وجود الأشرطة السمعية المسجلة من الكتاب التي يسهل الاستماع إليها في السيارة والمنزل والطريق وذلك للاستعانة بها في صحة النطق وسرعة الفهم.
3) وجود بطاقات عليها مجموعة من الكلمات والأساليب مع ما يقابلها من اللغة الأصلية للدارس، حيث يسهل عمل مجموعة منها في الجيب وقراءتها وذلك للحفظ الاستذكار والمراجعة.
4) وجود القوائم المطبوعة على ورق كبير وتضم الحروف الهجائية والأعداد العربية والأصوات المتشابهة حيث يمكن تعليقها لدوام تذكرها وحفظها ومراجعتها.
5) يمكن للدارسين تعلم اللغة العربية معتمدين على أنفسهم إذ إن السلسلة معدة حسب مواصفات التعلم الذاتي. أي أنه يمكن أن يتعلمها الطالب وحده دون حاجة إلى معلم (وهذا الصفة ليست متوفرة في الكتب الأخرى .

النتائج:

1- خلص الباحث إلى ضرورة تحليل حاجات الراشدين بدقة عند إعداد مادة تعليم اللغة العربية بغرض الفهم الديني والتعبد.
2- يرى الباحث ضرورة استخدام وسائل تعليمية تطبيقية متنوعة لتنفيذ مقرر الكتاب.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

1- طعيمة، رشدي أحمد، **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه،** المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، 1989م.
2- محمد أبو الكلام آزاد، **تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة: بناء وحدات دراسية لطلاب التخصص**

في العقيدة، رسالة الماجستير في اللغة العربية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1998م. (غير منشورة).

3- محمد نجيب بن جعفر، تعليم اللغة العربية لأغراض دينية عبر مواقع الإنترنت، كلية دراسات اللغات الرئيسة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، بحث غير منشور،2010م.

2- مهدي بن مسعود و مرصوفة عبد الجليل، تقويم برنامج تعليم اللغة العربية للكبار الناطقين بغير العربية من وجهة نظر الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا نموذجا.

مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2014م.

المراجع الإنجليزية

1. Abdul Rahman bin Chik, (1988), *Teaching Arabic For Specific Purposes (ASP) in Malaysia with Reference to Teaching Reading Skills at the International Islamic University*. England : University of Salford. (unpublished).

2. Mamdouh Nuruddin Mohamed (2005), *Teaching Arabic For Islamic Purposes.* Chicago : ISNA Conference.

Journal of Arabic Language Specialized Research Vol. 1, No. 1, January 2015, 76-92



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية
العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.
e-ISSN: 2289-8468
الاستلام: 2014/10/2 القبول: 2014/12/1 النشر: 2015/1/15

OBSTACLES IN LEARNING ARABIC ALPHABETS FOR NON ARABIC SPEAKERS: AN OVERVIEW ON REASONS

مُعوِّقاتُ تعلّم الحرف العربيّ للناطقين بغير العربيّة رؤية في الأسباب

صالح محجوب محمَد التنقاري

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

Salihtingari2003@yahoo.com

مُلَخّصُ البَحْثِ

سعَى هذا البحث من خلال المنهج الوصفيّ الميدانيّ إلى معرفة مصدر الحرف العربّي، وأطواره التي مرّبها، فضلاً عن المعوّقات التي تعترض تعلّمه بالصُّورة المثلى لدى متعلّمي العربيّة الناطقين بغيرها. وسؤال البحث الرئيس هو:ما المعوّقات التي تحول دون تعلّم الحرف العربيّ على الوجه المطلوب لدى الناطقين بغير العربيَّة؟ قدّم الباحث استبياناً لعيِّنة مكونة من 40 طالباً من الطلاب المبتدئين بمركز اللُّغات في الجامعة الإسلاميّة العالميّة في ماليزيا، وأجرَى -أيضاً- مقابلاتٍ مع عشرة مدرِّسين بالمركز نفسه. وقد توصل الباحث إلى نتائج من أهمّها : تأثّر العرب بغيرهم من الأمم السابقة في إرساء الأبجدية العربية، و مرور الأبجدية بخمسة أطوار آخرها الطور الهجائي، اتّضح أنَّ التشابه في الشكل الهندسيّ لبعض الحروف، ونظام الإعجام لا يسببان مشكلة لدى أفراد العينة من الطلاب، وخالفهم المدرّسون في ذلك، اتَّفق أفراد العينة من الطلاب، والمدِّرسون على أنَّ أكبر معوّق أو مشكلة تكمن في الحروف التي تنطق ولا تكتب، أو تلك التي تُكتب ولا تُنطق. وخُتِم البحث بتوصيةٍ ومقترحٍ.

الكلمات المفتاحيّة: معوّقات، أبجديّة، الشكل، الهندسّي، منفصلة، متصلة، يمين، شمال.



Obstacles in learning Arabic alphabets for non Arabic speakers: An overview on reasons

This research sought through the descriptive approach method to identify the source of the Arabic alphabets, and the phases it went through, as well as the obstacles that hinder its learning in an optimal manner by non Arabic speakers. The research main question is what are the obstacles that hinder the learning of Arabic alphabet in the required manner among the non-Arabic speakers? The research sample consisted of 40 beginners student from the Institute of Languages of the International Islamic University Malaysia, in addition to interviews conducted with ten lecturers of the aforementioned institute. The research arrived at some important results, among it are: The Arabs were influenced by previous nations (Ummahs) in establishing the Arabic alphabets. Furthermore, the alphabets have went through five phases; with the last one being the orthographic phase, and it was evident that the similarity in the geometric shape of some characters and the dotting system does not cause a problem to the sample of students, however the lecturers opposed them in this regard. Nevertheless, both students and lecturers agreed that one of the biggest obstacle or problem they face is the existence of pronounced letters that are not written, and written letters that are not pronounced. The research was then concluded with a proposal and a recommendation.

Key words: Obstacles, Alphabets, shape, geometric, connected, disconnected, right, *left

مُقَدِّمَة

أحمدكَ ربي وأصلي وأسلم على حبيبكَ وصفيكَ محمد بن عبد الله، وبعد؛

من المسلَّمات التي يؤمن بها اللغويون حديثاً بأنّ ليس هنالك لغة أفضل من لغة؛ لأنَّ المهمّة الرئيسة للغة هي القدرة على **التواصل** بواسطتها، فإذا قامت بهذه المهمّة على الوجه المطلوب، فإنّها لغة جديرة بالاحترام. وهذا القول السابق ينسحب على كلِّ لغات العالم بما فيها لغة القرآن الكريم – اللغة العربيّة– إلا أنَّ العربية اكتسبت ميزة ميزتها على غيرها من اللغات، وهي ارتباطها بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، فبعد أن دخل الأعجام في دين الله أفواجاً، وجدوا أنَّ انصهارهم في المجتمع الجديد لن يكتمل إلا بمعرفة لغته. فأكبّوا على تعلّم العربية، فنبغوا فيها، بل برّوا أهلها في كتابتها، وتقعيد قواعدها. ومنهم مَنْ رجع إلى أهله، يحدوه الأمل في نشر العربية والإسلام في ربوع الأهل. وأول ما بدأوا به الأبجدية التي احتفظوا به، ولم تخذلهم في كتابة لغاتهم، إذ وجدوا في حروفها أو رموزها مرونة ومطاوعة مكنتهم من التعبير عمّا يريدونه، وذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ أضافوا إليها رموزاً جديدة، لتعبر عن أصواتٍ في لغاتهم لا وجودَ لها في العربية. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الراميّة إلى معرفة المعوّقات التي تعترض سبيل نشر الحرف العربي وتعلّمه مع تقديم إرشادات لإزالة تلك المعوّقات.

رحلة الحرف العربي

يُعَدُّ اختراع الحروف الأبجديّة أو الهجائيّة من أعظم ما تفتق عنه العقل البشريّ. يحدثنا أهل التاريخ أنّ مرحلة ما قبل الكتابة سيطرت عليها الرسومات والصور التي استطاعت أن تعبر عن بعض الأغراض التي يرمي إليها الإنسان، ولكنَّه تعبير محدود، وفي حاجة إلى جهد شديد. وظلّ الأمر كذلك إلى أن اهتدت الإنسانية إلى اختراع رموز دقيقة تعبر عمَّا هو محسوس أو مجّرد .

استطاع العرب كغيرهم من الأمم إنتاج حروف أبجديّة خاصة بهم. قيل إنّها اخترعت بواسطة الكنعانيين الذين نزحوا من جزيرة العرب واستقروا في فلسطين. ثم انتقلت تلك الأبجدّية من الكنعانيين إلى الفينقيين إلى أن انتهت إلى الآراميين. وهذا الاختراع لا يخلو من تأثر بالحضارات السابقة، وممّا تأثروا به الحضارة المصرية القديمة. إذ اختزلوا كتابتها الهيروغلوفية التي أثبتتها النقوش، وكانت تلك الكتابة تشير إلى المعاني، ومقاطع الكلمات بصُور وإشارات. ثم جاء العرب وتلخص جهدهم في الاكتفاء بالحروف الأولى من أسماء الرسومات والصور، فمثلاً رأس الثور تجاهلوا اللفظ

الدالّ عليه بالمصرية القديمة، فرمزوا إليه بلفظ من لغتهم الخاصّة فصارت هذه العلامة هي الألف، وهكذا إلى أن تكونت لديهم أبجديّة من اثنين وعشرين حرفاً[1]. وهنالك آراء أخرى من باب الظنّ والتخمين إذ لا ترتكز على دليل يقبله العقل، ومن هذا ما أورده صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه إذ ذهب إلى أنَّ أول من وضع الخطّ العربي والسرياني، وسائر الكتب هو **آدم** عليه السلام قبل موته بثلثمائة سنة، كتبهُ في الطين، ثم طبخه فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، فوجد كلّ قوم كتابهم، فكتبوا، وأشار إلى أن إسماعيل وَجَدَ كتاب العرب[2].

وفي موضوع آخر يُشير إلى أن أول من وضع الكتابة العربية هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو أول مَنْ نطق بالعربية، فوضعت على لفظه ومنطقه، ومن نقولاته الظنيّة أنّ أول من وضع الخط العربي (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت) و هم قوم من الجبلة الآخرة، وقد وضعوا الكتب على أسمائهم، فلمّا وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها، وسموها **الروادف**، وهي : ث، خ، ذ، ض، ظ، غ.[3]

وغني عن القول إنّه أي ابن عبد ربه قد سطّر آراء لا تصمد طويلاً أمام النقد. وهو برأيه الأول يمثل الطائفة التي تذهب إلى أنّ اللغة **توقيفية**. وهذا الموضوع تناوله علماء اللغة منذ القدم، وقد انتهوا إلى رفض توقيفية اللغة، ومالوا إلى أنها ظاهرة اجتماعيّة أملتها ظروف معيّنة. وهي من خواصّ الإنسان التي يُميز بها عن الحيوان. وهي كما ذكر ابن خلدون من جملة الصنائع التابعة للعمران، ومن هنا قرر ابن خلدون أن أكثر البدو لا يكتبون ولايقرءون، ومن قرأ منهم تكون قراءته غير نافذة، وخطّه قاصر[4]. وأورد جملة من الآراء عن أصل الخطّ العربي، وصفها المحقق بأنّها تجمع بين الصحّة والخطأ. ويرى المحقق على عبد الواحد وافي أنَّ أقدم رسم للعربية هو الرسم اليمني القديم، ثم ظهر النبطي، وتلته مرحلة ثالثة مشتقّة من الرسم النبطي. ثم كانت مرحلة التأثر بالرسم السرياني، ودخل فيه نظام الإعجام للتمييز بين الحروف المتشابهة هندسياً. تلى هذه المرحلة مرحلة نظام الرمز إلى أصوات المدّ الطويلة، واستخدموا فيه ثلاثة أحرف و هي ترمز إلى ثلاثة أصوات وسط بين أصوات المدّ، والأصوات الساكنة، وهي: الهمزة، والياء، والواو، وصار لها وظيفتان الرمز إلى ما وضعت إليه في الأصل (أكتب، يكتب، وعد)، وأحياناً تقوم بوظيفة صوت المدّ (كاتب، دليل، ملوك)[5]. ويرى وافي أنَّ المرحلة الأخيرة لم تنتشر إبان كتابة المصاحف، أو لم يكن الصحابة ممّن رسموا المصاحف

---

[1] سوسو، أحمد، **حضارة العرب** ومراحل تطورها، بغداد، وزارة الإعلام1979م،ص 180-182.

[2] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق؛ محمد عبد القادر شاهين، بيروت، المكتبة العصرية2007م، ج 4،ص 208و 209.

[3] المرجع السابق نفسه.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1979م، ط3، ص961.

[5] انظر هامش مقدمة ابن خلدون، ص964 وما بعدها تعليق المحقق.

على علم بها. والرأي الأخير انطلق منه ابن خلدون فاتحاً النار على من وصفهم (ببعض المغفلين) الذين ظنّوا أنّ العرب كانوا محكمين لصناعة الخطّ، فلمّا رأوا ما يخالف رأيهم هذا في رسم **المصحف** في مثل زيادة الألف في لاا أذبحنّه في قوله تعالى :((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (21))). النمل 20-21. طفقوا يُعللون لذلك نحو أنَّ زيادة الألف في (لا أذبحنه) تنبيه على أنَّ الذبح لم يقع. وعقّب ابن خلدون على هذا الرأي بأنّه غير صحيح ذاكراً بأنّ الخطّ من جملة الصنائع المدنية المعاشية، والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق. واعتماداً على هذه القاعدة لم يجد ابن خلدون حرجاً في التعرض للرسم **العثماني** بالنقد[6].

يتّضح مما سبق أن ابن خلدون يتزعم المدرسة الداعية إلى رفض القول القائل بأنَّ اللغة توقيفية، ويرى أنها من جملة الصنائع. كما بيّن العرض السابق أنَّ الكتابة العربية ذات جذور ضاربة في بطن التاريخ، وهي- دون ريب- لم تُولد مكتملة، بل مرّت بأطوار مختلفة شأنها شأن كلّ الظواهر اللغّوية، وقد ذكر بعض الباحثين مرورها **بخمسة** أطوار[7]:

1-الطّور الصوري: يتمّ بالاعتماد على رسم الشيء، فمثلاً للتعبير عن (اليد) ترسم صورة اليد.

2-الطور الرمزيّ: يتمّ بوضع صورة ترمز للمعنى نحو صورة الأسد للشجاعة.

3-الطور المقطعي: تمَّ في هذا الطور الانتقال من الرسم إلى اللغة، فصارت الكلمات التي تبدأ بالمقطع (يد) نحو (يدرس، يدفع...) إذ تدلّ (يد) فيها على الياء، والدالّ لا على اليد.

4-الطور الصّوتيّ: وفيه صارت الصورة رمزاً للهجاء الأول من اسم الصورة، فصورة (كلب) ترمز إلى الحرف (ك).

5-الطور الهجائيّ: وفيه تمَّ ابتداع علامات تشبه المسامير الرأسيّة، والمائلة، والأفقية، واعتبروها حروفاً.

والمرحلة التي أشار إليها وافي بمرحلة **الإعجام** كما سبق القول جاءت بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان معظمهم من الأعاجم الذين لا عهد لهم بالحرف العربي ممّا استدعى خلق آلية تفرق بين الحروف المتشابهة هندسياً، فاضطلع بهذه المهمّة نصر بن عاصم، ويحيى بن عامر فوضعا النقط فرادى، وثنى، وخالفا بين أماكنها فمضى الناس

[6]المرجع السابق، ص966 وما بعدها، انظر الهوامش أيضاً.

[7]عاشور، راتب قاسم، ومحمد فؤاد، **أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق**، الأردن، دار المسيرة، 2003م، ص241-242.

لايكتبون إلا منقوطاً[8]. بعد أن اتضحت شخصية كلّ حرف عربيّ بفضل الإعجام، بلغ الحرفي العربيّ ذروة النضوج عن طريق الشكل بالحركات المعروفة اليوم، وهي من صنع الخليل بن أحمد الفراهيدي.[9]وقد استخدم جرّة علوية للدلالة على الفتحة، وجرّة سفلية للدلالة على الكسرة، و واواً صغيرة توضع فوق الحرف للدلالة على الضمّة، أمَّا السكون ففي شكل دائرة صغيرة. وعلى الرغم من الاجتهادات التي سعت لإحكام الأبجدية العربية لجعلها أبجدية مثالية ظهرت بعض المشكلات التي لاحظها الباحثون اعتماداً على التجربة مع متعلِّمين ناطقين بالعربية، أو ناطقين بغير العربية. وهذا موضع المحور الآتي.

مشكلات الحرف العربيّ

1-تعدد أشكال الحرف الواحد بدءاً، ووسطاً، ونهاية مثل حرف العين، وتعدد صُور الحرف يربك الطالب لا سيما الناطق بغير العربية. وذكر فضل الله أن تعدد الحرف الواحد يسبب مشقّة على مستوى القراءة والكتابة، وهذا ما أشار إليه البيروني بقوله: ((إنّ في الكتابة العربية آفة عظيمة هي **تشابه** صور الحروف المزدوجة فيها[10])).

2-التقارب في رسم بعض الحروف نحو: ثاب وتاب.

3-تُعَدّ النُّقط من الصعوبات التي تواجه متعلم العربية، والنقط كما سبق القول قد تكون مفردة، أو مثناة، أو ثلاثية، ولها مواضع مختلفة، وأغلب الظنّ أنّها ستقود إلى اللبس والخلط، والوقوع في الخطأ الإملائي، نحو: البنين، والبنتين[11].

4-وجود حروف ترسم، ولا تنطق، نحو اللام في الشَّمس.

5-وجود حروف تنطق ولا تكتب، نحو: هذا، ولكن.

6-عدم القدرة على التمييز بين الصوت القصير، والطويل.

وقد أحسّ علماء العربيّة لاسيما في العصر الحديث بضرورة التحرك لتلافي أوجه القصور في الأبجدية العربية، فطُرحت عدّة اقتراحات، ولكن كان الفشل نصيبها؛ لأنّها رَمَتْ إلى استبدال الحروف العربية بأخرى. وفَاتَهم أن هذا الصنيع

---

[8]إبراهيم، علي، **المقولات التربويَّة في التراث العربيّ وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، بحث ماجستير مطبوع، معهد الخرطوم الدوليّ، أبريل 1983م، ص58.

[9]عاشور، مرجع سابق، ص244.

[10]فضل الله، محمد رجب، **صعوبات الكتابة الإملائية**، بيروت، عالم الكتب،1995م، ط1، ص13.

[11]المرجع السابق نفسه.

سيقود إلى قطع الأمّة عن تراثها. والمتأمل في أبجديات اللغات العالمية يجد أنها تعاني من صعوبات ومشكلات جمّة، فمن الصعب أن نجد أبجدية مثالية يحدث فيها تطابق كامل بين المنطوق والمكتوب. فما أشرنا إليه من صعوبات أومشكلات فيما سبق يمكن التغلب عليها عن طريق الدّربة بتمهل، وعدم استباق الخُطى لقطف الثمار. فقد لاحظ الباحث أنّ الطلاب الصِّينيين عند التحاقهم بالجامعة الإسلاميّة العالميّة في ماليزيا يجدون عنتاً ومشقّة في الكتابة من اليمين إلى الشمال، وذلك في الأسبوع الأول فقط من الفصل الدراسيّ، ثم سرعان ما يتأقلمون على الأمر، فيكتبون كلماتٍ وجُملاً مقروءة بخطّ واضح.

دراسات سابقة:

تناول الحرف العربيّ مجموعة من الباحثين، وسنُشير فيما يأتي من صفحات إلى جهود بعضهم، ومن هؤلاء:

1-عبد القادر محمد، طرق تعليم العربيّة للمبتدئين،[12] فقد عَمِل جاهداً على تصنيف الحروف العربية بناءً على شكلها الهندسي في مجموعات، ظنًّا منه أنَّ الأشكال المختلفة للحروف موضع صعوبة للمتعلّم، وقد خرج بسبع مجموعات، وهي:

1-ا، ه، ب، ذ، ن، ض، ح، ر. فالشكل الأول هو حرف الألف، وهو نفسه القسم الأوّل من اللام (ل)، والقسم الأخير من الميم (م)، والقسم المتوسط من الطاء، والظاء (ط)، (ظ).

2-الشكل الثاني وهو حرف الهاء، ونجد أنَّ هنالك أربعة حروفٍ رؤوسها مستديرة (ف، ق، و، م).

3-الشكل الثالث عن طريق النقاط، وبها نحصل على أربعة أحرف، وهي على الترتيب (ب، ت، ث، ي وهو حرف الفاء (ف) أي بزيادة رأس مستديرة.

4-الشكل الرابع (ن) فالقسم الأخير منه له ستة حروف (ص، ض، س، ش، ق، ل).

5-الشكل الخامس، وهو القسم الرئيس من أربعة أحرف (ص، ض، ط، ظ).

6-الشكل السادس، وله خمسة أحرف (ع، غ ج، ح، خ).

7-الشكل السابع، وله ثلاثة أحرف (ر،ز،و).

ولكي تكون نظريته جامعة مانعة أضاف شكلَ حرف (د) الذي يُنتج (د،ذ)، وشكل (س) القسم الأساس لحرفي س،ش و (ى) ، (ك) ،(ک ، (ل) ، و (لا) التي لا يظهر كلّ منها إلا في حرف واحد. وقد حاول الأستاذ عبد القادر

---

[12] عبد القادر، محمد، **طرق تعليم العربية للمبتدئين**، القاهرة، النهضة المصرية، 1982م، ط1، ص 96-97.

من خلال المجموعات التي ابتدعها للحروف العربية بناء على شكلها، تسهيل تعلمها. ولكن اتضح أنها معقّدة، ولا تتناسب مع المبتدئين؛ لتفرعها وتشابكها مع بعضها بعضاً.

2-أمّا أستاذنا د.يوسف الخليفة أبوبكر[13]فقد حصر الأشكال الهندسيّة للحرف العربيّ في ثلاثة أشكال قاصداً منها الشكل العام للحرف، دون التفات إلى التفاصيل بالمقاييس والأحجام كما يقررها أخصائيو الحرف العربيّ. وذكر أنَّ الهدف من الأشكال الهندسية هو التدريب على الأشكال، فضلاً عن تطويع عضلات اليد في اتجاهات الحروف العربية وأشكاله هي:

1- الشكل الرأسي (ا) ويكون حرف الألف، وجزءاً من الطاء، الظاء، والكاف، واللام، والميم في بعض حالاتها، وصورة مصغرة من الخطّ الرأسي نجدها تكون جزءاً من بعض الحروف في البدء، والوسط، والنهاية كما هو في الباء، والتاء، والثاء، والنون، والياء في بعض حالاتها، والراء، والزاي.

2- الشكل الثاني الخطّ الأفقي (-) وهو يكون جزءاً لعدد من الحروف (الباء، والتاء، والثاء، والنون، والفاء، والقاف) في بعض حالاتها، وكذا يكون الخطّ الأفقي جزءاً من الجيم، والحاء، والخاء في بعض حالاتها، ويكون جزءاً من الطاء، والظاء، وهو أيضاً جزء من الكاف واللام، ويوجد كذلك في بعض حالات الميم، والهاء، والسين، والشين، والصاد في بعض حالاتها.

3- الشكل الثالث ويتمثل في الدائرة الكاملة التي نجدها في التاء المربوطة، وتكون جزءاً من شكل الفاء، والقاق، والواو، والعين، والغين في بعض حالاتها. ونجد جزءاً من الدائرة المفتوح من جهة اليمين مكرراً، أو منفرداً يكون شكل العين في بعض حالاتها. أمّا جزء الدائرة المفتوح من أعلى فيكوّن بأحجام مختلفة أجزاءً بعض الحروف مثل: السين، والشين، وجزءاً من الصاد والضاد، وجزءاً من القاف والنون في بعض حالاتها.

ومحاولة د. يوسف لجمع الأشكال الهندسيّة للحرف العربي في ثلاثة أشكال محاولة طيبة، وتنم عن جهد مقدر، ولكن هي كرصيفتها السابقة معقّدة بعض الشيء، وإن اتصفت بقلة أشكالها، وقد حاول الباحث تطبيق فكرة الأشكال الهندسية على الطلاب المبتدئين في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، فوجدها ذات مردود طيب لا سيما مع الطلاب الذين لا عهد لهم بالحرف العربيّ، ولكنها في حاجة إلى وقت، ومتابعة من قِبل المعلّم.

---

[13]أبوبكر، يوسف الخليفة، **التدريب على الكتابة في مرحلة ما قبل الكتابة**، معهد الخرطوم الدولي، المجلة العربية للدراسات اللغوية، م1، العدد الثاني، فبراير، 1983م، ص129-138.

4- ولدكتور يوسف بحث بعنوان: تجربة في تعليم الكتابة والقراءة للناطقين بغيرها [14]. وتنطلق هذه التجربة من افتراض، وهو أنّ تعلّم القراءة والكتابة يكون أسرع للمتعلّم الناطق بغير العربيّة إذا بدأ تعلّمه أولاً بكتابة لغته بالحروف العربية، وأشار إلى أنّ التجربة تقوم على مبادئ ثلاثة مبدأ نفسي فالمتعلّم بهذه التجربة يكون بعيداً عن التوتر النفسي؛ لأنه يتعامل مع مفردة من لغته، فينصبّ جهده؛ لمعرفة كتابة الرمز، ومدلوله الصوتي. أما المبدأ الثاني فهو مبدأ **تربويّ** يتمثل في التدريج من المحلية إلى القومية، ثم العالمية. فتطبيق هذه التجربة يضمن الانطلاق من القومية، والإقليمية فالعالمية والمبدأ الثالث والأخير هو **الواقع والتجربة الميدانيّة**، وقد طبقت التجربة في جنوب السودان، ولاقت نجاحاً . وممّا يؤخذ على هذه التجربة استحالة تطبيقها على فصول ذات خلفيات لغويّة متباينة كما هو الحال في الجامعة الإسلاميّة العالميّة في ماليزيا.

5- وجهود يوسف الخليفة لم تتوقف، بل ظلّت مواكبة للتقنية الحديثة فقد تبنّى تجربة حوسبة اللغات الإفريقية، وهو أيضاً من القائمين على مشروع **الحرف القرآني** في إفريقيا[15].

6- أمّا أبانغ حزمين فقد كتب بحثاً بعنوان: الحرف العربي في بروناي دار السلام، وقد استعرض فيه جوانب القوة الكامنة في الحرف العربي، وقوّة ارتباط العربية بالإسلام، وأبان أنّ الشعب الملايوي قد أجرى تعديلات على عدد من الحروف العربية لتلبي الأصوات التي لا وجود لها في العربية، وتمّ ذلك دون تغيير في شكل الحرف الرئيس ممّا يدلّ على مرونة العربيّة. وأشار أبانغ إلى انخفاض استخدام الحرف العربي في بروناي، وردّ ذلك للتفوق التقني والحضاري لدى أهل الغرب، ونادى بضرورة تطوير برنامج الكتابة بالحرف العربي في الحاسوب؛ لأنّه هو سيد الموقف في هذا العصر[16].

7-أمّا فيما يختصّ بتعليم الحرف العربي للمبتدئين فقد أشار الناقة وزميله يونس إلى أهداف مهارة الكتابة ويهمنا منها ما يأتي: كتابة الحروف العربية وإدراك العلاقة بين **شكل** الحرف **وصوته**، والقدرة على كتابة الكلمات العربية **بحروف**

---

[14] أبو بكر ، يوسف الخليفة ،**تجربة في تعليم الكتابة والقراءة للناطقين بغيرها** ، **العربية للناطقين بغيرها** ، الخرطوم ،معهد الغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية ، العدد 2، يناير 2005م ،ص 239-251.

[15] لمزيد من الاطلاع راجع إبراهيم ، حسن أحمد ، وعبد الرحمن شيك ،**لغات الشعوب الإسلامية في آسيا والحرف القرآني (دراسات تحليلية**) كوالالمبور ، الجامعة الإسلامية العالمية ، 2011م ، ط1، 237و ما بعدها . والكتاب عبارة عن بحوث قدمت في مؤتمر عن الحرف القرآني .

[16] المرجع السابق ، ص 256-274.

منفصلة ومتصلة، مع تمييز الحروف في أول الكلمة، ووسطها، ونهايتها، وأن يتقن الطالب الكتابة من **اليمين** إلى **الشمال**، وأن يدرك ما في العربية من بعض الاختلاف بين **النطق** والكتابة والعكس [17].

8-وأشار خضر الزند إشارات صائبة إلى كيفية تقديم الرموز بالتركيز عليها أولاً، وتأجيل تقديم الحركات. ويرى أن يبدأ تجريد الحروف في مرحلة مبكرة، واستحسن خضر الزند أن يَرِد الحرف محرّكاً بالحركات الثلاث، وبأشكاله المختلفة، وضرورة الاهتمام بالمقاطع مع استخدامها؛ لتكوين كلماتٍ جديدة. ويرى ضرورة تجريد الواو والياء اللذين يقبلان الحركة والسكون كلاً على حدة مثل الواو في (ورد) ، والياء في (يد)[18].

تعليق على الدراسات السابقة

يُلاحظ أن ما تناولناه من دراسات ركّز على كيفية تذليل الصعوبات التي تكتنف الحرف العربي، وقد نال الشكل الهندسي للحرف العربي حظّاً عظيماً من ذلك، ولا شك أنّ معرفة الشكل الهندسي، والسيطرة عليه تُعد ذات قيمة كبيرة لمتعلّم العربيّة من غير أهلها، وأشرنا كذلك إلى التجربة الرائدة في تعليم الحرف العربي من خلال مفردات مأخوذة من اللغة الأم للمتعلّم، وهي تجربة ناجحة؛ لقيامها على مبادئ تربوية، وهي مفيدة للمتعلّمين ذوي الخلفية اللغوية الواحدة أو المشتركة. وقد أوضحت الدراسات السابقة مرونة الحرف العربي، وقابلبته لاستيعاب أصوات اللغات الإسلامية بضروبها المختلفة، وأشارت الدراسات السابقة –أيضاً– إلى طريقة تعليم الرموز العربية. لم يقف الباحث في حدود طاقته على بحث يتناول معوقات تعلّم الحرف العربي للناطقين بغير العربية في مركز اللغات في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا ، وهذا ما ينوي الباحث تنفيذه.

القسم التَّطبيقيّ

---

[17] الناقة ، محمود ، وفتحي على يونس ، **المنهج التوجيهي لتعليم أبناء الجاليات الإسلامية– التربية الإسلامية واللغة العربية** ، ايسيسكو ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، 1999م ، ص 8-9.

[18] خضر الزند ، وليد ، **أسس ومواصفات إعداد تعليم الكبار** ، مراجعة: بديع محمود ، الرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافه والعلوم ، 1987 م ، ص 24 و25.

مشكلة البحث وأسئلته

لاحظ الباحث أنَّ الحرف العربيّ موضع صعوبة لبعض الناطقين بغير العربية لا سيما الذين تكتب لغاتهم بغير الحروف العربية. وسيحاول الباحث تناول هذه المشكلة من خلال الأسئلة الآتية:

1- ما مصدر الحرف العربي؟ وما الأطوار التي مَّر بها؟

2- ما المعوِّقات التي تحول دون تعلّم الحرف العربيّ على الوجه المطلوب لدى الناطقين بغير العربية؟

أ- هل يسبب التشابه في رسم بعض الحروف مشكلة لمتعلِّميها؟

ب- هل يُلاقي متعلّم اللغة العربية لغير أهلها صعوبة في الكتابة من اليمين إلى الشمال ؟ وهل يجد صعوبة في إلصاق الحروف العربيّة مع بعضها بعضاً؟

أهداف البحث

1- تتبع رحلة الحرف العربيّ منذ النشأة إلى مرحلة النضوج.

2- التعرف على معوِّقات تعلّم الحرف العربيّ من حيث تشابه الأشكال الهندسية لبعض الحروف، والكتابة من اليمين إلى الشمال، فضلاً عن إلصاق الحروف العربيّة مع بعضها بعضاً.

منهجيّة البحث وأداته

اعتمد البحث؛ لتحقيق أهدافه منهجيّة استقرائيّة مسحية تحليليّة، فقد تمَّ استقراء وجهة نظر أفراد العينة بواسطة استبيان من إعداد الباحث، وقد تمَّ التأكّد من الصدق الظاهري له بعرضه على عشرة مدرّسين من المتخصصين في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، وأجريت بعض التعديلات التي أشاروا إليها على الاستبيان، ويحتوي الاستبيان على 12 فقرة، وقد قسّم إلى قسمين: القسم الأول معلومات عن النوع، والعمر، واللغة الأولى. أما الثاني فيحتوي على فقرات الاستبيان.

طلب من المفحوص أن يكتب إجابته بناءً على العلامات الآتية:

(1- لا أوافق، 2- لا أوافق بشدة، 3 - محايد، 4- موافق، 5- موافق بشدة).

استخدم الباحث برنامج التحليل الإحصائي للدراسات الاجتماعيّة، وهو ما يعرف بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعيّة؛ لاستخراج النسبة المئوية، والمتوسط الحسابي، ويركز البحث على المتوسط الحسابي؛ للحكم على أكثر

المعوّقات التي تعترض تعلّم الحرف العربي متخذاً من المعيار الموضح في الجدول أدناه دليلاً له[19]. وقد استخدم الباحث **أداة** أخرى وهي إجراء مقابلات مع المعلمين للوقوف على وجهة نظرهم، وتتكون العينة من عشرة معلّمين من معلّمي مركز اللّغات في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا . ومضمون المقابلات شبية بالمحتوى الوارد في استبيان الطلاب.

يوضح جدول رقم (1) معيار استخدام تعلّم الحرف العربي

الوزن النسبي	مستوى الاستخدام
5- 4.5	مرتفع جداً
3.5-4.4	مرتفع
2.5-3.4	معتدل
1.5-2.4	منخفض
1.0-1.4	منخفض جداً

أهميّة البحث

تظهر أهميته في أنه أول بحث في مركز اللغات في الجامعة الإسلامية العالميّة يلتفت إلى معوّقات تعلّم الحرف العربي، ويُعّد الحرف العربي الأساس لمهارة الكتابة، ومن غير السيطرة على الحروف أو الأبجدية العربية لا يمكن لمتعلّمها أن يخطو خطوات رشيدة في تعلّمها.

حدود البحث

سيقتصر هذا البحث على الحروف العربية، ولن يتجاوزها إلى غيرها من حروف اللّغات الأخرى. ومن حيث الإطار الزمني تتمثل حدوده في الفصل الثالث من العام الجامعي 2013-2014م، أمّا مكانه فهو مركز اللّغات في الجامعة الإسلامية العالميّة في ماليزيا.

مجتمع البحث وعينته

يتكون مجتمع البحث من الطلاب المستجدين الذين التحقوا بالجامعة في يوليو 2014م، وتمَّ تصنيفهم –بعد جلوسهم لامتحان تحديد المستوى –في المستوى الأول، ويبلغ عددهم حوالي 70 طالباً، تمَّ اختبار عينة قصدية من هذا المجتمع قدرها 40 طالباً، يجمع بينهم عدم دراسة اللغة العربية من قبل، ولا عهد لهم بالكتابة من اليمين إلى

[19] **والمعيار من تصميم ريبكا أكسفورد** ، راجع التنقاري صالح محجوب محمد ،**استراتيجيات تعلم اللغة العربيّة بوصفها لغة ثانية لدى الكبار من الدارسين الماليزيين** ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، الخرطوم العدد 25 ، ديسمبر 2006م ،ص19-33.

الشمال، على الرغم من وجود فئة ضيئلة منهم لهم معرفة ضعيفة بالحرف القرآني، وزّع الاستبيان على أفراد العينة الأربعين، واستطاع الباحث –بعون الله – الحصول على جميع الاستبيانات التي وزّعت أي بنسبة 100%.

يقدم الجدول رقم (2) عرضاً لخصائص أفراد العينة

العدد الكلي	ذكور %	إناث%	العمر% 18-20	لغة أولى ملايوية%	لغة أولى آسيوية%	لغة أولى أوربيّة%
40	56	44	100	53	29	18

يلاحظ من الجدول (2) أن عدد أفراد العينة 40 مفحوصا ذكور بنسبة 56%، وإناث بنسبة 44%، وافراد العينة ممن لغتهم الأولى الملايوية 53% و لغات آسيوية (آردو، و لغة صينية) 29% أما من لغتهم (الإنجليزية والفرنسية) فنسبتهم 18%.

يوضح الجدول رقم (3) النسبة المئوية والمتوسط الحسابيّ لكلّ فقرة من فقرات الاستبيان

الفقرات متسلسلة	النسبة %					المتوسط الحسابي	المستوى
	لا	لاش	م	مو	موش		
1- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل : ب ت ث ي	5	2.5	5	30	57	4.3	مرتفع
2- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل : د ذ	2.5	____	10	30	57	4.5	مرتفع
3- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل : ر ز	2.5	____	10	30	57	4.4	مرتفع
4- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل: س ش	5	2.5	10	20	60	4.4	مرتفع
5- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل: ص ض	5	2.5	10	20	60	5	مرتفع
6- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل : ط ظ	5	5	7.5	20	62.5	4.3	مرتفع
7- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل : ع غ	____	2.5	2.5	25	70	4.5	مرتفع
8- أجد سهولة في تمييز	____	2.5	2.5	23	72	4.6	مرتفع

الشكل الهندسي ل: ق ف							
9- أجد سهولة في تمييز الشكل الهندسي ل: ك ل	____	____	7.5	17.5	75	4.6	مرتفع
10- أجد سهولة في الكتابة من اليمين إلى الشمال	__	___	7.5	17.5	75	4	مرتفع
11- أجد سهولة في إلصاق الحروف العربية مع بعضها بعضاً.	7.5	10	25	1.5	32.5	2.4	منخفض
12- أجد سهولة في فهم الاختلاف بين الأحرف التي تنطق ولا تكتب أو تكتب ولا تنطق.	27.5	5	22.5	10.5	12.5	2	منخفض

*(لا ،غير موافق ،لاش ، غير موافق بشدة ،م ،محايد ،مو، موافق ،موش ،موافق بشدّة)

ملحوظات على الجدول رقم (3)

يلاحظ أنَّ عشر فقرات من مجموع فقرات الاستبيان نالت مستوى مرتفعاً، بينما نالت فقرتان مستوى منخفضاً، وهما الفقرة الحادية عشرة :(أجد سهولة في إلصاق الحروف مع بعضها بعضاً لتكوين كلمة). وهذا يدلّ على أنَّ أفراد العينة يجدون صعوبة في إلصاق الحروف مع بعضها بعضاً. وتُرد هذه الصعوبة –غالباً–إلى عدم تمكنهم أو سيطرتهم على أشكال الحروف المختلفة، وما يعتريها من تغيرات في بدء الكلمة، ووسطها، وآخرها. فضلاً عن عدم تعودهم على الكتابة من اليمين إلى الشمال. فهم في حاجة إلى تدريبات مكثفة على الحروف التي تتخذ أشكالاً مختلفة، فضلاً عن تدريبات على الكتابة من اليمين إلى الشمال على مستوى المفردات المعروفة لديهم، وكذلك على المستوى الجمل البسيطة. أمَّا الفقرة الثانية التي أحرزت مستوى منخفضاً فهي الفقره الثانية عشرة: (أجد سهوله في فهم الاختلاف الحاصل بين ما ينطق ولا يكتب، وما يكتب ولا ينطق، مثل (لكن، هذا، ضربوا، عمرو). وهذه الفقرة من الاستبيان تشير إلى مشكلة حقيقية تعاني منها اللغة العربية، وهي وجود كلمات تحتوي على حروف تنطق ولكنها لا تكتب وكذلك العكس. وهذه المشكلة متفشية في جميع أبجديات اللغات العالمية، ولك في الإنجليزية أجمل نموذج إذ نجد فيها حروفًا (silent) تكتب ولا تنطق نحو : wrinkle (تجعد) فحرف (W) لا ينطق. Talk (يقول) فحرف(L) لا ينطق وغيرهما . ونجد في الإنجليزية –أيضاً– أن الحرف الواحد له أكثر من نطق (C) تنطق أحياناً (S)نحو :Face (وجه) ،وتنطق (K) أحياناً نحو : Cap (قبعة).

وهذا العيب لا وجود له في العربية، وعلى الرغم ممّا في الأبجديّة الإنجليزية من عيوب فقد انتشرت، وسيطرت على مجال التقنية لا لتفرد فيها أوجمال، بل لأنّ أهلها سهروا لخدمتها. فنحن المسلمون بمقدورنا أن نفعل ذلكَ إذا اتّحدنا، وخلصت النوايا فلدينا –والحمد لله–المدخلات البشرية، والمادية، فالأبجدية العربية قادرة على مواكبة التكنولوجيا، والتطور والرقي الذي جاء مصاحباً للعولمة.

أمّا الجزء الثاني فهو مكمل للأول ويهدف –أيضاً–لمعرفة معوّقات تعليم الحرف العربي في مركز اللغات، وقد حاولنا الوقوف عليها من خلال **مقابلات** شخصية مع بعض مدرِّسي مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وعدد أفراد العينة عشرة مدرّسين، وحصيلة هذه المقابلات على النَّحو الآتي:

1-	نصف أفراد العينة بنسبة 50%، يَرون أنَّ التشابه في أشكال الحروف العربيّة يُسبب صعوباتٍ لدى متعلمي العربية من غير أهلها.
2-	سبعة من أفراد العينة بنسبة 70% يرون أنّ **الإعجام** أُس المشكلات في الأبجدية العربية، فهو يربك المتعلّمين، ويجعلهم في حيرة من أمرهم، هل هذا الحرف نقطته واحدة، أم أكثر ،وهل هي فوقية أم تحتية؟
3-	اثنان من أفراد العينة بنسبة 20% يريان أنَّ المتعلمين قادرون على التفريق بين ص، ض، ولكنهم غير قادرين على معرفة الأشكال المختلفة لحرفي العين والغين ،وكذا حرف الميم.
4-	اتفق أفراد العينة بنسبة 100% على أنَّ المتعلّمين يجدون صعوبة في إلصاق الحروف مع بعضها بعضاً، وتكثر أخطاؤهم في الكلمات التي بها حروف تنطق ولا تكتب، وتلك التي بها حروف تكتب ولا تنطق.

وبمقارنة نتائج **مقابلات** المعلمين مع ما نتج عن **الاستبيان** يتّضح لنا أن المتعلّمين لا يجدون صعوبة في تشابه الأشكال، ولافي الإعجام، وهم قادرون على التفريق بين حرفي العين والغين والميم في كلّ الحالات. بينما نجد أنَّ هنالك اتفاقاً بين المعلّمين والمتعلّمين فيما يتعلق بالصعوبات المرتبطة بالكلمات التي بها حروف تنطق ولا تكتب، أو تلك التي تكتب ولا تنطق.

ويمكن أن نعزو الاختلاف بين العينتين أن المعلّمين أجابوا بناءً على خبرتهم في تعليم العربية لغير أهلها، فمرّت عليهم –دون شك – طوائف مختلفة من المتعلّمين فالإجابة –غالباً–مبنية على الأكثرية أمّا عيّنة المتعلّمين المكوّنة من 40 متعلّماً، فإجاباتهم تمثل حالتهم، فربما هم على درجة من الوعي مكنتهم من التغلب على ما يبدو أنّه مشكلة في نظام الأبجديّة العربيّة.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات والمقترحات توصل البحث إلى **نتائج** من أهمها:

1- أنّ الأبجديّة العربيّة ما هي **بتوقيفية**، بل هي من جملة **الصنائع** التابعة للعمران. وأنَّ العرب تأثروا في أبجديتهم بالكنعانيين وغيرهم من الأمم والشعوب.

2- مرّ الحرف العربيّ **بخمسة** أطور: صوتي، ورمزيّ، ومقطعيّ، وصوتيّ، وهجائيّ.

3- يُعَدُّ إلصاق الحروف من المعوّقات التي يُعاني منها أفراد عينة البحث.

4- لا يُعَدّ **التشابه** في الشكل الهندسيّ لبعض الحروف العربية مشكلة لدى أفراد العينة من المتعلِّمين، وقد خالفهم المعلّمون في ذلك. وموقف المعلمين تؤيده دراسة عبد القادر، ودراسة يوسف الخليفة اللتان ركزتا على الشكل الهندسي للحروف العربية.

5- لا يرى أفراد العينة من المتعلمين غرابة أو صعوبة في نظام **الإعجام** السائد في بعض الحروف العربية، أمّا المعلّمون فيرون أن الإعجام مصدر صعوبة. ومعظم من كتبوا عن الحروف العربية أشاروا إلى ظاهرة الإعجام، وتفرد العربية بها ممّا يرجح أنّها موضع صعوبة.

6- اتفق المعلّمون والمتعلّمون على أنّ الحروف التي تنطق ولا تكتب، وتلك التي تكتب ولا تنطق، هي موضع صعوبة لدى متعلمي العربيّة من غير أهلها، وهذا الاتفاق يؤيده واقع أو حال متعلّمي العربية إملائياً على مستوى الناطقين بالعربية أو على مستوى الناطقين بغيرها.

التوصيات

بناءً على ما سبق من نتائج يوصي الباحث بضرورة الاهتمام من قبل المعلمين برسم الحروف منذ مرحلة ما قبل الكتابة رسماً صحيحاً والتاكدّ من أنَّ الطلاب يُحسنون إلصاق الحروف مع بعضها بعضاً. وهذا لن ينال إلا بالتدريب وكثرة التكرار، وأن يولوا عناية خاصّة للكلمات التي بها حروف تنطق ولا تكتب، أو تكتب ولا تنطق.

المقترحات

إجراء دراسات عن الأخطاء في رسم الحروف العربية – تشخيصها وعلاجها.

مراجع البحث

إبراهيم، على، **المقولات التربويَّة في التراث العربيّ وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، بحث ماجستير مطبوع، معهد الخرطوم الدوليّ، أبريل 1983م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1979م، ط3.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد،**العقد الفريد**، تحقيق ؛محمد عبد القادر شاهين، بيروت، المكتبة العصرية2007م، ج 4.

أبوبكر، يوسف الخليفة، **التدريب على الكتابة في مرحلة ما قبل الكتابة**، معهد الخرطوم الدولي، المجلة العربية للدراسات اللغوية، م1، العدد الثاني، فبراير، 1983م.

أبو بكر ، يوسف الخليفة ،**تجربة في تعليم الكتابة والقراءة للناطقين بغيرها** ، العربية للناطقين بغيرها ، الخرطوم ،معهد الغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية ، العدد 2، يناير 2005م.

التنقاري صالح محجوب محمد ،**استراتيجيات تعلم اللغة العربيّة بوصفها لغة ثانية لدى الكبار من الدارسين الماليزيين** ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، الخرطوم العدد 25 ، ديسمبر 2006م

الناقة ، محمود ، وفتحي على يونس ، **المنهج التوجيهي لتعليم أبناء الجاليات الإسلامية- التربية الإسلامية واللغة العربية** ، ايسيسكو ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، 1999م.

[1] خضر الزند ، وليد ، **أسس ومواصفات إعداد تعليم الكبار** ، مراجعة: بديع محمود ، الرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافه والعلوم ، 1987 م .

عاشور، راتب قاسم، ومحمد فؤاد، **أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق**، الأردن، دار المسيرة، 2003م.

سوسو، أحمد،**حضارة العرب ومراحل تطورها**، بغداد، وزارة الإعلام1979م.

عبد القادر، محمد، **طرق تعليم العربية للمبتدئين**، القاهرة، النهضة المصرية، 1982م، **ط1.**

فضل الله، محمد رجب، **صعوبات الكتابة الإملائية**، بيروت، عالم الكتب،1995م، ط1.

Journal of Arabic Language Specialized Research Vol. 1، No. 1، January 2015, 93-116



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

الاستلام: 2014/11/2 القبول: 2014/12/1 النشر: 2015/1/15

FROM THE RHETORIC OF VERBAL FORMATION IN THE QUR'ANIC DISCOURSE, AN ANALYTICAL STUDY

من بلاغة التشكيل اللفظي في الخطاب القرآني

دراسة تحليلية

شومة محمد مساعد الفاضلي البلوي

جامعة تبوك

الأردن

dr.shomah@hotmail.com



ملخص

فإن القرآن الكريم كتاب الله المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كيف لا؟ وهو الكتاب المعجز الذي عجز العرب على فصاحة ألسنتهم، وبلاغة منطقهم أن يأتوا ولو بآية من مثله – ولن يأتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً – والسبب في ذلك الإعجاز بلاغة نظمه، وسلاسة ألفاظه، وإحكام أساليبه، واتساق إيجازه وإطنابه، وما فيه من حجة وبرهان، حتى قال قائلهم: (والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته)[1]. وحق للوليد بن المغيرة أن يقول ذلك، فهو أمام كتاب الله المعجز، منهل عذب، ومعين زاخر صافٍ، (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)، فلا (تزيد تلاوته إلا حلاوة ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام – ولو بلغ في الحسن والبلاغة مَبْلَغهُ – يُمَلّ مع الترديد ويعادي إذا أعيد؛ لأن (إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد) كما قال السيوطي رحمه الله[1]. ولعل أقوى دلائل الإعجاز في القرآن الكريم هو ذلك التأثير الذي يبعثه في النفوس، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتى يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة.

Abstract

For a single Quranic great importance in building expressive and a great role in the elucidation of the attributes miracle Quranic and how signed pronunciation locations of Rhetoric miracles ، and miracles of rhetoric ، and the extent to which use the Koran vocabulary commonly used optimally is a faction among the style Quranic miraculous ، and the words of human beings in the most prestigious models and photographs. In a research that tracked the vocabulary Quranic contained in the book of God for the first time - the format and substance - and I found them and God knows - approximately (357 words) (1) did not respond only once ' confined my studies on some of them، which is a clear indication that " the Koran spruce in choosing his words and every word put in place Kalbannh in construction، does not fit the other place، though the convergence on and tie them in length and width ، because each word is particularly significant and intimation special ، and tune in to install، and can not be mastered with other connotations ، and balances the significance and the other ، and puts call the mouthpiece of the situation believe the expression and pictured longing souls and Khtarat consciences but Aleem expert who knows the treacherous eyes and what the breasts conceal " no wonder that every single Koranic her Jursha and rhythm voice its own ، which has the biggest impact on the significance of the context on P " may take a term one in a format expressive paints a picture fastened increases their value that is solely rude that draws the image Bjursh befitting in the ears and sometimes it casts a shadow on the imagination at times، and his shadow or Bjursh together" . Hence the research entitled " formation of verbal eloquence in the Qur'anic discourse (analytical study " where he will discuss some of the research contained Quranic vocabulary for the first time in the Book of Allah - the Almighty - and did not recur in another context would be through the study of:

- The study of the individual in terms of its morphological ، and implications bell sound and rhythm.
- Then the effect of this in the context of the Quranic text shadows and Aijae.

it is going to touch the significance of language elements : ،The importance of this study and the benefits ،acoustic and morphological of Quranic discourse ; to show Fraúd buildings of the meanings inherent in this book Almgr download which came the bulk of its elements has some of the bell and the rhythm of the shadows and ، however، take some ،sister Mtaangh it suggest the accuracy of the The brevity and splendor statement miraculous

المقدمة

إن للمفردة القرآنية أهمية كبرى في البناء التعبيري، ودورًا عظيمًا في استجلاء سمات الإعجاز القرآني، فقد وقع اللفظ موقعاً من بلاغة الإعجاز وإعجاز البلاغة، واستعمل القرآن مفرداته استعمالاً أمثل، فهو الفيصل بين الأسلوب القرآني المعجز وبين كلام البشر في أرقى نماذجه وصوره. وفي بحثي تتبعت المفردات القرآنية الواردة في كتاب الله لأول مرة – صيغة ومادة– فوجدتها ما يقارب (357) كلمة(1)، لم ترد إلا مرة واحدة، فاقتصرت في دراستي على بعض منها، مما يدل دلالة واضحة على أن (القرآن الكريم يتأنَّق في اختيار ألفاظه وكل كلمة توضع في مكانها كاللبنة في البناء، لا يصلح غيرها موضعها، ولو تقارب المعنى وتساوى معها في الطول والعرض؛ لأن لكل كلمة دلالة خاصة، وإيحاء خاصاً، وانسجاماً في التركيب، ولا يستطيع أن يلم بسائر الدلالات، ويوازن بين دلالة وأخرى، ويضع الكلمة المعبرة عن الموقف أصدق تعبير، والمصورة لخلجات النفوس وخطرات الضمائر إلا العليم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)(2)، ولا عجب في ذلك، فكل مفردة قرآنية لها جرسها وإيقاعها الصوتي الخاص بها، الذي له أكبر الأثر في الدلالة على سياق المعنى، فقد "يستقل لفظ واحد في نسق تعبيري برسم صورة شاخصة يزيد من قيمتها أن لفظاً مفرداً هو الذي يرسم الصورة بجرسه الذي يلقيه في الآذان تارة، وبظله الذي يضفيه على الخيال تارة، أو بجرسه وبظله معاً"(3)، ومن هنا كان البحث بعنوان: **(من بلاغة التشكيل اللفظي في الخطاب القرآني – دراسة تحليلية)**، حيث سيتناول البحث بعضاً من المفردات القرآنية الواردة لأول مرة في كتاب الله -تعالى- ولم تتكرر في سياق آخر، وستكون الدراسة من خلال:-

– دراسة المفردة القرآنية من حيث بنيتها الصرفية، ودلالاتها الصوتية جرساً وإيقاعاً.

– ثم أثر ذلك في سياق النص القرآني ظلالاً و إيحاء.

إن أهمية هذه الدراسة أنها تتجه إلى تلمّس الدلالة في عناصر اللغة: الصوتية والصرفية في الخطاب القرآني؛ لإظهار فرائد المباني، وفوائد المعاني الكامنة في هذا الكتاب المعجز التنزيل الذي جاءت جل عناصره متآخية متعانقة فيه، يأخذ بعضها بيد بعض من الجرس والإيقاع إلى الظلال والإيحاء دقة وإيجازاً وروعة بيان معجز. وقديماً توصل ابن جني

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1411هـ – 1991م.

(2) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر: 134، منشأة المعارف، الإسكندرية 1991م.

(3) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: 133.

إلى وجود علاقة بين الأصوات والمعاني، حيث تناول هذا في كتابه (الخصائص) تحت عنوان: (مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها)، ثم قال تحته: (وهذا باب عظيم واسع؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبرة عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم: (خَضِم – وقضِم، فالخَضْم لأكل الرطب) والقَضم للصلب اليابس، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها مع اليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)[4].

فكلام ابن جني يدل على فكر نيّر، فهو يشير إلى أن العلاقة بين الأصوات والمعاني من الثراء اللغوي المميز، فاختيار المفردة واستعمالها في القرآن الكريم جاء نتيجة للتمحيص والانتقاء الفذ، ولذلك لا نخشى فيها تنافراً ولا شذوذاً، وإنما نجد جمال التناسب والتوافق فيها ساحراً بديعاً متناغماً مع أجواء النظم القرآني وسياقه، (ألفاظ القرآن الكريم تختلف ولا تراها إلا متفقة وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان، وتنتقل في منازل البلاغة، وأنت لا تعرف منها إلا روحاً تداخلك بالطرب، وتشرب قلبك الروعة، وتنتزع من نفسك حسن الاختلاف الذي طالما تدبَّرت به سائر الكلام، وتصفَّحت به على البلغاء في ألوان خطابهم، وأساليب كلامهم، وطبقات نظامهم، مما يعلو ويسفل، أو يستمر وينتقض، أو يأتلف ويختلف... فأنت ما دامت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف، وألوان التصوير، وأغراض الكلام كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها)[5].

قبل الخوض في صلب الموضوع، لابد أن نمهِّد تمهيداً موجزاً؛ لإيضاح مفهوم محور العنوان، ألا وهو مفهوم (التشكيل) لغة واصطلاحاً.

([4]) الخصائص، صنعه: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، 2/157-158، ط2.

([5]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 233.

التشكيل لغة:

التشكيل لفظة مأخوذة (من الشكل) أي: المثل، يقال: امرأة ذات شِكْل، وشَكَلْتُ الدابة بشكاله، ودابة بها شكال إذا كان إحدى يديه وإحدى رجليه مُحَجَّلاً، وشَكَلْتُ الكتاب أشكُله شكلاً، إذا قيَّدته بعلامات الإعراب، وتشكَّل الشيء: تصوَّر)[6]. هذا بالنسبة للجانب اللغوي.

التشكيل اصطلاحًا:

(التشكيل) في المرجعية الاصطلاحية نجده فيما يقوله الدكتور محمد صابر عبيد: (فالتشكيل يتألف من شبكة عناصر ومكونات وأدوات تحتشد في سياق تكويني مؤتلف لبناء فضاء المصطلح)[2]، ومن هنا فإن التشكيل هو عبارة عن الهيكل البنائي للخطاب أو النص، فالتشكيل اللفظي مفهوم واسع لا يقتصر على النظرة للجوانب التركيبية في النص بل يتجاوز ذلك، للوقوف على الجوانب الصوتية والدلالية، والنحوية الصرفية، وتضام هذه المعطيات اللغوية، لتشكل بناء كاملاً يضفي بعلاقاته جملة من المعاني والإيحاءات، ليلبسها مفردات النص، يقول الدكتور سعيد بحيري: (إن الإفهام أو التواصل لا يتحقق إذن إلا بوقوع المخاطب على قصد المتكلم من خلال التشكيل اللغوي الذي يضم العناصر المنطوقة، والقرائن التي تضم عناصر منطوقة، وأخرى غير منطوقة)[3]، ومن يقف على بعض الإشارات عند الجرجاني يجده يتجه للنص بنظرة لغوية وبلاغية شاملة، فهو يشير (إلى أن الشعر لا يسند إلى الشاعر بكونه تكلم به ونطق كلماته، بل من جهة ما صنع من المعاني، وألبس المفردات حلة من تلك المعاني، وهذا ما يميز الشاعر عن الراوي)[4]، فألفاظ القرآن الكريم لها جمالها المتميز المتناغم، وتناسقها الكامل مع المعنى، وائتلافها مع دلالات المعنى المصاحبة، بحيث تؤثر في المعنى وتؤدي هدفاً كبيراً لا يمكن تحقيقه بدونها أو بغيرها. واللفظة القرآنية بشتى أشكالها وصيغها متماسكة مع أخواتها، متحدة في السياق ومتماشية مع الغرض والمعنى.

---

(6) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور: مج 11 156-157، بيروت، لبنان،1410هـ-1990م.ومجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس: 509/2، تحقيق: زهير السلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م.

صور التشكيل اللفظي في القرآن الكريم

من صور التشكيل اللفظي في الخطاب القرآني ما جاء في قوله تعالى: **﴿وْكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾**.(7)

وردت هذه الآية الكريمة في سياق إثبات قضية الحشر والبعث بعد الفناء، وإثبات قدرته –سبحانه– على كل شيء؛ فقد ذكر المفسرون أن رجلاً اسمه عزير مرّ على قرية بعد خرابها، فقال مستفهماً: كيف يعمر الله هذه القرية بعد هدمها، وزوال آثارها؟ والمراد استبعاد عمرانها بالبناء والسكان بعد أن خربت وتفرق أهلها ولكنه في الوقت نفسه يستعظم قدرة الله تعالى لما رأى شدة خرابها، فقوله –كما يقول الدكتور وهبة الزحيلي–: (اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، فجعله الله فاقد الحس والحركة مائة عام مع بقائه حيًّا، ثم أطلق فيه الحركة، وبعثه بسرعة وسهولة، كأنه كان نائماً ثم استيقظ، فوجد القرية قد عمرت بعد سبعين سنة من موته، وتكامل ساكنوها، ورجع إليها بنو إسرائيل، فقيل له بواسطة الملك: كم وقتاً لبثت؟ وسئل هذا السؤال؛ ليظهر عجزه عن الإحاطة بشؤون الله تعالى، فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم على التقريب والظن والتخمين؛ لأنه مات أول النهار ثم بعثة الله في آخر النهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقوله هذا على ما عنده وفي ظنه، فلا يكون كاذباً فيما أخبربه فأجيب: بل لبثت مائة عام، فانظر لتر دلائل قدرتنا إلى طعامك وشرابك طوال هذه المدة لم يتغير، ولم يفسد مع أن العادة جرت بفساد مثله بمضي مدة قليلة)(8). فنحن في هذه الآية أمام استفهامين:–

الأول: **{أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}؟ والثاني: {كَمْ لَبِثْتَ}**؟

فالأول صادر من العبد، والثاني من المخاطب، والمخاطب فيه العبد الذي مر على قرية وهي هالكة، يقول الدكتور عبد العظيم المطعني –رحمه الله–: (والخلاصة أن الاستفهام هو فعلاً للاستبعاد المبني عن شك لدى المستفهم حمله

---

(7) سورة البقرة الآية: 259.

(8) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي: 3/33–34، دار الفكر المعاصر، بيرت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1411هـ – 1991م.

على هذا الاستبعاد المشوب بالتعجب والحيرة. أما الاستفهام الثاني فهو فيما نرى للتجهيل، أعني تجهيل المخاطب وتبيين خطئه في تحديد المدة التي قضاها ميتاً[9]، فكان ذلك من الآيات الناطقة بطلاقة القدرة الإلهية.

إن المتأمل في سياق هذه الآية يسترعي انتباهه التعبير باللفظة القرآنية (لم يتسنه) الوحيدة صيغه ومادة. فلماذا لم يأت التعبير بقوله: (لم يتغير)؟ ما الذي تضيفه كلمة (لم يتسنه) من دلالات إيحائية للنص القرآني لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تحل محلها. فـ(لم يتسنه) أي: لم يتغير، فهو من (أسن الماء يأسن وأسن يأسِنُ ويأسُنُ إذا تغيَّر)[10]، و(يأسِنُ أسْنا وأسونا وهو الذي لا يشرب أحد من نتنه، وأسِن الرجل إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك، فغشي عليه أو دار رأسه)[11].

إذن: هذه المفردة القرآنية (لم يتسنه) إضافة إلى النفي الوارد في سياقها أوحت بظلالها، وأعطت مدلولاً دقيقاً لا يتحقق في كلمة (لم يتغير)، فالله –عز وجل– أراد أن يثبت بكمال قدرته أنه مع طول المدة التي مكثها –وهي المائة عام– لم يصب طعامه وشرابه أي تغيّر لا على مستوى الرائحة، ولا على مستوى الطعم، فالعدول عن كلمة (لم يتغيّر) إلى هذا التعبير القرآني –والله أعلم– استدعاه المقام في سياق هذا الخطاب الإلهي، فكلمة (لم يتغير) قد توحي إلى أن الطعام والشراب لم يتغيرا شكلاً إنما الطعم قد يحدث له خلاف ذلك مع طول المدة ولو في جزء من أجزائه، فهذه الكلمة لم تعط ما أعطته دلالة المفردة القرآنية.

يقول سيد قطب: (وهكذا يلقي التعبير القرآني بظلاله وإيحاءاته، فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخص تجاه الأبصار والمشاعر وتبعاً لطبيعة التجربة، وكونها تجربة حسية واقعية نتصور أنه لابد من وجود آثار محسوسة تصور فعل مائة عام...هذه الآثار المحسوسة كانت متمثلة في شخصه أو في حماره) [12]، وهذا من تمام رحمة الله –تعالى– به وعنايته ولطفه أن أراه الآية عياناً، ليقتنع بها[13]، فكانت النتيجة إقرار العبد الذي مرت به التجربة (فلما تبيَّن له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير)[14].

---

(9) التفسير البلاغي في القرآن الحكيم، د عبد العظيم المطعني: : 144/1، مكتبة وهبة، القاهرة،1420هـ- 1999م.

(10) مجمل اللغة: 1/ 96.

(11) لسان العرب، مادة: أسن: 16/13.

(12) في ظلال القرآن، سيد قطب: 298/1-299، دار الشروق، بيروت، ط 15، 1408هـ-1988م.

(13) ينظر : فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني:354/1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1416هـ -1996م.

(14) سورة البقرة، الآية: 259.

ومن الصور كذلك ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾**(15).

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض وحي الله لموسى -عليه السلام- إجابة لطلب قومه بني إسرائيل **{أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ}**(16)، وتأمل قوله – تعالى-: (فانْبَجَسَتْ)، وما يوحي به جرس هذه الكلمة من إيقاع صوتي مؤثر، فـ(الباء والجيم والسين تفتَّح الشيء بالماء خاصة، قال الخليل: البَجَس انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منها ماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس، وقال: الانبجاس عام والنَّبوع للعين خاصة، والسحاب يتبجس مطراً)(17).

والملفت للانتباه أن التعبير القرآني في هذه السورة جاء بكلمة (فانْبَجَسَتْ)، ومرة أخرى في سياق آخر بقوله: (فانفجرت)(18)، فما الفرق الدلالي بين هاتين المفردتين؟

يقول البغوي: (وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد)، وقال أبو عمرو ابن العلاء: انبجست عرقت وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى: فانفجرت)، أي: فضرب، فانفجرت، أي: سالت)(19). ويقول ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: (الانفجار) انصدع شيء عن شيء ومنه انفجر، والانبجاس في الماء أقل من الانفجار)(20). ويقول الألوسي: (والانفجار انصداع شيء من شيء، ومنه الفجر والفجور، وجاء هنا (انفجرت)، وفي الأعراف (انبجست)، فقيل: هما سواء، وقيل: بينهما فرق وهو أن الانبجاس أول خروج الماء، والانفجار اتساعه وكثرته، والانبجاس خروجه من الصلب، والآخر خروجه من اللين، والظاهر استعمالها بمعنى واحد)(21).

---

(15) سورة الأعراف، الآية: 160.

(16) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: : 478، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.

(17) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: 199/1، دار الجيل بيروت، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م.

(18) قال تعالى: (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا). البقرة، الآية: 60.

(19) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحين بن مسعود، تحقيق: خالد عبد الرحمن ومروان سوار: 77/1:، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1415هـ-1995م.

(20) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي:152/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

(21) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي: 271/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1405 هـ، 1995م.

وأقول –والله أعلم بأسرار كتابه–: إن هناك فارقاً دلالياً في استعمال الكلمتين، فكلمة (الانفجار) مأخوذة من تفجيرك للماء، والمفجّرْ: الموضع يتفجر منه، وانفجر الماء والدم نحوهما من السيّال، وتفجّر وفجّر –شدّد للكثرة–، وانفجرت عليهم الدواهي: أتتهم من كل وجه كثيرة بغتة، وأفجر إذا عصى، وأفجر إذا كفر، والفجر: كثرة المال، وفجر إذا كذب وأصله الميل، والفاجر: المائل، وفجر الرجل بالمرأة يفجر فجوراً زنا)[22].

إذن من خلال المدلول اللغوي لكلمة (انفجر) تبيَّن أنها وباجتماع أصوات الحروف تعطي دلالة القوة والكثرة والشدة عكس كلمة (فانبجست)، فلكل لفظ قرآني إيحاءاته الدقيقة الخاصة به، قال الرازي في مفاتيح الغيب: (وقال آخرون: الانبجاس خروج الماء بقلة، والانفجار خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء ابتدأ بالخروج قليلاً ثم صار كثيراً... انتهى)[23]. أي: أن الانبجاس ابتداء الانفجار والانفجار بعده غاية له)[24]، وعليه فإن اللفظ القرآني (انفجر) يغطي دلالة تدفق الماء من الحجر بشدة بينما يعبر اللفظ انبجس عن تدفق الماء وسيلانه بشكل هادئ، وهو اختلاف في التعبير بين المفردتين استدعاه المقام وتطلبه المعنى، قال أبو جعفر بن الزبير: (إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى –عليه السلام– السقيا، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ**﴾، والوارد في البقرة طلب موسى –عليه السلام– من ربه، قال تعالى: ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه**﴾، فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء، وطلب موسى–عليه السلام– غاية لطلبهم؛ لأنه واقع بعده ومرتب عليه، فناسب الابتداء والغاية الغاية، فقيل جواباً لطلبهم: (فانبجست)، وقيل: إجابة لطلبه (فانفجرت)، وتناسب ذلك وجاء على ما يجب)[25]، فكلمة (فانبجست) جاءت وحيدة صيغة ومادة في القرآن الكريم، مما يعطي لهذه المفردة القرآنية مكانة بلاغية لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تسد مسدها فكل لفظ في القرآن لو أبدل مكان لفظ لارتبك التعبير، واضطرب ولخرج من باب البلاغة إلى باب الكلام المألوف.

---

(22) لسان العرب، مادة فجر:5/45-46.

(23) التفسير الكبير، الإمام الرازي: مج 8/33، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(24) قال الراغب في المفردات: (الانبجاس) أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل منه وفيما يخرج من شيء واسع. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني 1/47، مكتبة نزار مصطفى، السعودية 1418-1997.

(25) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح: 212-213، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983-1403هـ.

ومن ملائمة الألفاظ لمعانيها ما جاء في قوله تعالى: **﴿وإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾**.[26]

إذ امتنع بنو إسرائيل من قبول ما في التوراة فألزمهم الله –عز وجل– بالعمل، ونتق فوق رؤوسهم الجبل فصار فوقهم كأنه ظله[27]، يقول ابن كثير: (ثم سار بهم موسى –عليه السلام– إلى الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب، وأمرهم بالذي أمره الله أن يبلغهم من الوظائف، فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة)[28].

تأمل معي التعبير القرآني بالمفردة القرآنية (نتقنا) في سياق هذا الخطاب لمحمد –صلى الله عليه وسلم– لأخذ العبرة والعظة من قصة موسى –عليه السلام– مع بني إسرائيل في مخالفة قومه لأحكام دينهم، أي: (واذكر لهم يا محمد أيها النبي إذ رفعنا فوق جبل الطور، وأصبح كأنه سقيفة لما أبوا أن يقبلوا التوراة لثقلها، وعلموا وأيقنوا أنه ساقط عليهم؛ لأن الجبل لا يثبت في الجو)[29]، فهذه اللفظة القرآنية الواردة بصيغة الماضي (إذ نتقنا) الواقع في حيز الشرط، والمسند إلى ضمير العظمة وردت في القرآن وحيدة صيغة ومادة، وما ذلك إلا لتناسب اللفظ مع المعنى، و(النتق) النون والتاء والقاف أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلعه من أصله، تقول العرب: نتقت العرب من البئر: جذبته، والبعير إذا تزعزع حِملُه نتق عُرى حباله، وذلك جَذْبُه إياها فتسترخي، وامرأة ناتق: كثر أولادها، وهذا قياس الباب كأنهم نتقوا منها نتقاً)[30]، وفي لسان العرب: (ونتقت الشيء إذا حركته حتى يسفك ما فيه)[31]، ويقول الراغب في المفردات: (ومنه استعير امرأة ناتق إذا كثر ولدها، وقيل: زند ناتق أي: وارٍ، تشبيهًا بالمرأة الناتق)[32]، ومن الدلالة اللغوية لهذه الكلمة نجد الإيحاء بمعنى الجذب والنزع بقوة.

والتحليل الصوتي لهذه الكلمة يتطلب النظر إلى ثلاثة أمور، هي:–

---

(26) سورة الأعراف، الآية: 171.

(27) ينظر تفسير السعدي:171.

(28) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير:510، دار السلام، الرياض، 1420–1990م.

(29) التفسير المنير:152/9.

(30) معجم مقاييس اللغة 387/5.

(31) لسان العرب،مادة: نتق:351/10.

(32) المفردات في غريب القرآن:654/2

قوة الله – سبحانه وتعالى وكمال قدرته، وضخامة الجبل وقوته، وسرعة الجذب، فالأصوات المكونة للكلمة، هي: النون والتاء والقاف) (النون صوت سهل وبسيط تبدأ به الكلمة وتنتهي؛ باعتباره ضمير الفاعل؛ ليدل على الإحاطة الكاملة وقدرة الله سبحانه وتعالى، وسهولة حدث الفعل عليه، ويأتي صوت التاء (الانفجاري المهموس)؛ ليدل على سرعة تنفيذ الحدث، كما أن صوت (التاء) لا يستغرق زمناً نطقياً، ثم يأتي أخيراً صوت القاف (الانفجاري المفخم)؛ ليؤكد قوة الله وقدرته وقوة الجبل لكنه لا يستعصي على قدرته سبحانه وتعالى)[33].

فتدبَّر تلك الملائمة بين أصوات هذه الكلمة وما تثيره من دلالة إيحائية على المعنى، فكانت عنصراً إبداعياً تصويرياً مهماً. يقول ابن عاشور: وهذه آية أظهرها الله لهم تخويفاً؛ لتكون مذكرة لهم[34]. إنه خطاب ربَّاني يحمل روحاً وإعجازاً وقدسية نص يتعبّد به.

ومن الألفاظ الأحادية الواردة في النظم الحكيم ما جاء في سورة يوسف –عليه السلام–: **﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[35].

يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية: (لما أجمع الإخوة رأيهم على أن يلقوه في غيابات الجب جاؤوا إلى أبيهم وخاطبوه بلفظ الأبوة؛ استعطافاً له وتحريكاً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء، وتوسلاً بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه)[36].

التعبير باللفظة القرآنية (يرتع) التي جاءت في سياق خطاب الأبناء لأبيهم يسترعي الانتباه، فقد ناسبت هذه اللفظة سياق المعنى الذي جاءت من أجله، فهي وحيدة في القرآن صيغة ومادة، فإخوة يوسف –عليه السلام– يحملون الحقد عليه ظناً منهم أن أباهم يؤثره عليهم، يقول القرطبي: (ويْرتع بإسكان العين إلا أنه ليوسف عليه السلام)[37]، فهذه المفردة القرآنية (يرتع) تلقى إشعاعاً خاصاً من حيث لا يسدّ غيرها هذا المكان، وتنفرد بمكانها من حيث ملائمة أقصى التأثير، فإذا قرأناها في الآيات وجدنا أنها تتجاوز كل تعابيرنا، متمكنة من موضعها بمنزلة اللبنة المطلوبة للبناء

---

(33) مجلة الدراسات العربية (التعبيرية الصوتية في النص القرآني) ، عبد المنعم سيد، العدد19 مج2 (2009)، جامعة المنيا، مصر: 595.

(34) قيم التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: 164/9.

(35) سورة يوسف، الآية: 12.

(36) فتح القدير: 12/3.

(37) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: مج93/5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1417هـ- 1996م.

الكلي، فـ(الرتع): الراء والتاء والعين كلمة واحدة، وهي تدل على الاتساع في المأكل، ويقول: رتع يرتع إذا أكل ما شاء، والمراتع: مواضع الرّتعة، وهذه المنزلة يستقر فيها الإنسان)[38]، و(الرتع) الأكل والشرب رغداً في الريف، يقال: خرجنا نَرْتَع ونلعب أي: ننعم ونلهو، ورتع فلان في مال فلان: تقلب فيه أكلاً وشرباً، وقوم مَرْتعون: راتعون إذا كانوا مخاصيب)[39].

إذن: هذه الكلمة بجرسها الإيقاعي تعطي إيحاء بالسعة، والشعور بالأنس والسعادة، وهذا ما أراد إخوة يوسف –عليه السلام– إثباته لوالدهم، ففي كل مرة لا يسمح الأب بذهاب ابنه يوسف –عليه السلام– معهم؛ لعدم ثقته بهم **﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾**[40]. فما كان منهم بعد تفكير إلا أن قالوا: **﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** يقول الراغب: (الرتع أصله أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل كثيراً).[41]

ويقول ابن عاشور: (ارتعى هو افتعال من الرعي للمبالغة فيه، فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم، واستعير في كلامهم للأكل الكثير؛ لأن الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلاً ذريعاً، فلذلك شبه أكلهم بأكل الأنعام، وإنما ذكروا ذلك؛ لأنه يسرُّ أباهم أن يكونوا فرحين. ورتع إذا أقام في خصب وسعة من الطعام، والتحقيق أن هذا مستعار من رتعت الدابة إذا أكلت في المرعي حتى شبعت)[42]، فلهذه الاستعارة التصريحية في هذه اللفظة القرآنية أبعادها الجمالية في سياق هذا الخطاب في إقناع الأب بخروج الابن، فإنه (لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف وأبيه أعملوا الحيلة على يعقوب وتلطفوا في إخراجه معهم، وذكروا نصحهم له، وما في إرساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب؛ إذ هو مما يشرح الصبيان ويفرحهم)[43].

---

(38) معجم مقاييس اللغة: 2/ 486.

(39) لسان العرب: 113/8.

(40) سورة يوسف، آية: 11.

(41) المفردات: 249/1.

(42) التحرير والتنوير:228/12

(43) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان لأندلسي، تحقيق: عادل عب الموجود، على محمد معوض: 285/5. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

وعندما يذاع ما كان من امرأة العزيز مع يوسف –عليه السلام– وتتناقله نسوة المدينة باللوم والشماتة يرصد لنا النظم الحكيم هذا الحوار الفريد من نوعه، البليغ في نظمه وعبارات: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾[44].

تأمل وتدبر قوله: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ وما يوحي به ظلال هذا التعبير القرآني، فـ (الشين والغين والفاء كلمة واحدة، والشغاف وهو غلاف القلب)[45]، و(جلده دونه كالحجاب وسويداؤه)[46]. أي: (أوصل الحب إلى شغاف قلبها)[47]. (وقرأ ابن عباس قد شغفها حباً، قال: دخل حبه تحت الشغاف)[48]، فما أروع هذا التعبير القرآني! فكان حب هذا الفتى قد مزَّق حجاب قلبها ووصل إلى سويداء فؤادها، أو أن حبَّه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب فاشتعل بحبه، وصار حجابًا بينه وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل صاحبة هذا القلب سواه ولا يخطر ببالها غيره، قال النابغة الذبياني:

وقـد حـال هـم دون ذلـك شـاغل مكـان الشـغاف تبتغيـه الأصـابع[49]

1

فهذه الصورة التعبيرية في احتراق الشغاف للقلب (كناية عن صفة التمكين)[50].

قال ابن القيم –رحمه الله– : (إنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق الفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها، أما العشق فقولهن: (قد شغفها حباً)، أي: وصل حبه إلى الشغاف قلبها، وأما الطلب المفرط فقولهن: (تراود فتاها)، والمراودة الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة)[51].

فهذه اللفظة القرآنية شغفها في غاية الروعة التعبيرية الجمالية.

---

(44) سورة يوسف، الآية: 30 .

(45) معجم مقاييس اللغة: 195/3.

(46) لسان العرب: 179/9.

(47) معجم مقاييس اللغة: 195/3.

(48) لسان العرب، مادة شغف: 179/9.

(49) ديوان النابغة، تحقيق: عباس عبد الستار: 53، ط3، دار الكتب العلمية، هـ–1996م.

(50) التحرير والتنوير:260/12.

(51) التفسير القيم، الإمام ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفيفي: : 315، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وحين يأبى سيدنا يوسف –عليه السلام– أن يغادر السجن إلا بعد أن تعلن على الناس براءته، وعاد رسول الملك من عند يوسف يطلب منه سؤال النسوة اللائي قطعن أيديهن فحصل الاعتراف من نسوة المدينة بطهارة يوسف وعفته وبعده عن السوء، ثم يأخذ الحق يعلن عن نفسه، فتعلن امرأة العزيز في خطابها الصريح أمام الملك ولأول مرة شهادة الحق التي تغني عن كل شهادة ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ .

تأمل معنى –كلمة – (حصحص)! فلماذا عدل النظم الحكيم عن التعبير القرآنية بكلمة (وضح الحق)؟ وما الذي تحمله هذه المفردة القرآنية من إيحاءات لا تكون في أي لفظة أخرى؟!

هذه اللفظة عدها ابن أبي الإصبع من الفرائد القرآنية، فقال في باب الفرائد: (هو باب مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريد من العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته، لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء، ومنها قوله تعالى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾)[52]

يقول الراغب: حصحص الحق، أي: (وضح وذلك بانكشاف ما يقهر)[53]، ويقول ابن منظور: (الحصحصة: الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويتمكن منه، ويثبت، وقيل: تحريك الشيء في الشيء حتى يتمكن ويستقر فيه، وكذلك البعير إذا أثبت ركبتيه للنهوض بالثقل، ويقال:حصحصت التراب وغيره إذا حركته فحصته يميناً وشمالاً، والحصحصة بيان الحق بعد كتمانه)[54].

إذن: المدلول اللغوي لهذه المفردة يوحي باستقرار الشيء وثباته وتمكنه ووضوحه بعد كتمانه. فهذا التكرار الصوتي في الكلمة يحاكي تكرار حدث الفعل، فالتكرار فيها يعنى الثبات والظهور، والملاحظ أنها تحتوي على صوت واحد يتسم بالوضوح السمعي وهو الصاد، لتوضيح قوة ظهور الحق ووضوحه. وقد عد البلاغيون ذلك الفعل من الشواهد على التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة، يقول ابن عاشور: (أي: ثبت واستقر الحق، والحق هو براءة يوسف –عليه السلام– مما رمته امرأة العزيز، وإنما ثبت حينئذ؛ لأنه كان محل قيل وقال وشك، فزال ذلك باعترافها بما وقع، والتعبير بالماضي (حصحص) مع أنه لم يثبت إلا أنه من إقرارها الذي لم يسبق؛ لأنه قريب الوقوع، فهو لتقريب

---

(52) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر: 287.

(53) المفردات:157/1.

(54) لسان العرب:15/7-16.

زمن الحال زمن الحال من المضي)[55]، (فإذا اعترف الخصم بأنه صاحبه على الحق، وهو على الباطل لم يبق لا حد مقال)[56]، ولن يكون هناك مجالٌ للإنكار، ولا سبيلٌ إلى تغيير الحقائق مهما كان ومهما صار، (فكان ذلك لطفًا من الله بيوسف –عليه السلام[57]– وانتصارًا له من ظلم سيدة القصر ونسوة المدينة.

ومن المفردات القرآنية الأثيرة في جرسها وإيقاعها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**﴾[58]

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق خطاب المنكرين المستبعدين للبعث بعد الموت وموقفهم من هذه الحقيقة ﴿**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**﴾ فـ(النغض) النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هز وتحريك، والانغاض: تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه)[59]، وقال الفراء: (انغض رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل، وإنما سمي الظلم: نغضاً ونغضاً؛ لأنه إذا عجّل في مشيته ارتفع وانخفض)[60]، وقال الزمخشري: (أي: فستحركونها نحوك تعجباً واستهزاء)[61]، فجاءت كلمة (فسيغضون) متوافقة مع سياق المعنى، فالآية الكريمة وردت في خطاب الكافرين المنكرتين المستبعدين لوقوع المعاد والبعث بعد الموت فهم مع إنكارهم وتعجبهم من هذه الحقيقة نجدهم يجسدون أبلغ صور الاستبعاد من خلال حركة الجسد التي يقومون بها؛ سخرية وتعجباً، فهذا التعبير التصويري ﴿**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**﴾ كناية عن التكبر والاستهزاء؛ إذ الانغاض هو تحريك الرأس علوًا وسفلًا، وقد صوَّر هذا العقل حالهم أبرع تصوير، ولولا ذكره لاحتمل استفهامهم (متى هو) أن يكون حقيقاً بريئاً.

وفي سياق خطاب الله تعالى مع موسى –عليه السلام– في سورة طه، يقول تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قال هي عصاي أتوكأ بها وأهش بها على غنمي (18)**﴾[62]. جاءت هذه الآية: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا**

---

(55) التحرير والتنوير: 291/12.

(56) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمرو الزمخشري: 478/2، دار الكتب العربية.

(57) الجامع للقرطبي: مج 5/ج9–136

(58) سورة الإسراء، الآية: 51.

(59) معجم مقاييس اللغة: 453/5–454.

(60) لسان العرب: 239/7.

(61) الكشاف: 2/ 672.

(62) سورة طه، الآيتان: 17–18.

مُوسَى﴾ مدخلاً لعرض حديث الله مع موسى -عليه السلام- وقد تصدرت الآية بأداة استفهام الصادرة من الله -عز وجل- الذي لزم أن يكون مجازياً له دلالة بلاغية. وللإمام الزمخشري كلام نفيس في الإبانة عن المعنى المجازي للاستفهام حين قال: (سأله ربه ليريه عظم ما يخترعه -عز وجل- في الخشبة اليابسة من قلبها حيه نضناضة، ليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه- أي: العصا- والمقلوب إليه -أي: الحية- وينبهه على قدرته الباهرة)(63). وهذا معناه أن الاستفهام الوارد في هذه الآية هو استفهام تقريري، الغرض منه تقرير موسى -عليه السلام-بإمكانيات الشيء الذي يمسكه بيده اليمنى، ثم تأمّل الجواب في سياق هذا الخطاب: **﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾**.

الملفت للانتباه العطف بذلك الفعل (وأهش)، فما دلالته؟ وماذا تضفي هذه المفردة القرآنية من دلالة إيحائية لا يمكن لأي لفظة أن تفي بالمعنى نفسه؟ الهش: (الهاء والشين أصل صحيح يدل على رخاوة ولين)(64)، و(أهش هشاً إذا خبط الشجرة فألقاه لغنمه)، فهذه المفردة القرآنية الوحيدة -صيغة ومادة- كان لها إيحاء دلالي ذو أثّر على المعنى، (فالمكونات الصوتية للكلمة تصوُّر وتحاكي المعنى فعلاً، فالهمزة صوت توتر حنجري يصوِّر عملية رفع العصي، ليضرب أوراق الشجر، وتكرار هذه العملية التي هي حدث الفعل، وهو حين يفعل هذا يسقط الجاف من ورق الشجر، وهذا ما يصوّره صوت الهاء والشين؛ لما في هذا الورق من هشاشة وأصوات لاحتكاك الورق ببغضه البعض، كما أن الشين يعكس صورة انتشار ورق الشجر الجاف على الأرض لما فيه من تفشٍّ)(65).

وفي نعيم الجنة والتلذذ بها من قبل أصحابها، يقول تعالى:**﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾**(66).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: (لما ذكر -تعالى- أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سبقت لهم من السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا أحسن الله مآبهم وثوابهم ونجّاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب، فقال: **﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا**

(63) الكشاف: 57/3

(64) معجم مقاييس اللغة: 6/ 9.

(65) مجلة الدراسات العربية (التعبيرية الصوتية في النص القرآني): 599 .

(66) سورة الأنبياء، الآية: 102.

(103)﴾(حريقها في الأجساد)(67). فتأمل معي –أيها القارئ– التعبير بكلمة (حسيسها) وما توحي به جرس حروفها من إيحاءات تستشعر من خلاله بعظيم النعم في أن الصوت الخفي من النار لا يسمع ولا يصل إليهم، (فقد عبَّر عن الحركة بالحسيس)(68) و(الحس والحسيس: الصوت الخفي، والحسّ بكسر الحاء، وحسّاً وحسيساً وأحس به شعر به)(69)، فالله –عز وجل– ينفي عن المؤمنين المنعمين سماعهم لكل ما يكدر نعيمهم فلا تبلغ أسماعهم أصوات النار سالمون من كل ما يفزعهم. فجملة (لا يسمعون حسيسها) (بيان لمعنى (مبعدون)، أي: مبعدون عنها بعدًا شديدًا بحيث لا يلفحهم حرها، ولا يروعهم منظرها، ولا يسمعون صوتها، والصوت يبلغ إلى السمع من أبعد ما يبلغ من المرئي، فهم سالمون من الفزع من أصواتها، فلا يقرع أسماعهم ما يؤلمهم)(70). يقول سيد قطب –صاحب الظلال–:–(ولفظة (حسيسها) من الألفاظ المصوّرة بجرسها لمعناها، فهي تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع، وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر، ولذلك نجي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه فضلًا على معاناته– نجوا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعيم)(71).

ويقابل أهل النعيم، وعظيم نعيمهم أهل النار وبشاعة عقابهم، يقول تعالى: ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)**﴾(72).

هذه الآيات خطاب من الله –تعالى– لأهل النار قبل دخولهم النار، والإمام الزمخشري فسر هذين الاستفهامين بما يفهم من كلامه، أنها للتحسر والتعميم، قال: (يجمع عليهم الغموم والحسرات كلها، فتُجعِل النار بمرأى منهم فيهلكون غماً في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم، فيقال لهم: أين آلهتكم؟ هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم؟)(73). واختصر الإمام أبو السعود بيان المراد منهما، فقال: (وهذا سؤال تقريع وتبكيت

---

(67) تفسير ابن كثير: 878.

(68) مفردات القرآن:152/1.

(69) لسان العرب: 49/6.

(70) التحرير والتنوير: 17-156.

(71) في ظلال القرآن: 2399/4.

(72) سورة الشعراء، الآيات: من (92) إلى (94).

(73) الكشاف /321/3– 322.

لا يتوقع له الجواب)[74]. أما الطاهر بن عاشور فخلاصة رأيه أن الاستفهام الأول للتهكم والتوبيخ والثاني للإنكار والتهكم)[75]، ثم تأمل بعد ذلك حين يصور النظم الحكيم كيفية دخول الكفار النار ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾.

فهذه اللفظة بجرسها الايقاعي (فَكُبْكِبُوا) يقف فيها المتأمل أمام صورة تعبيرية إيحائية لا تملكها الكلمات العادية، فـ(الكاف والباء) أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، لا يشد منه شيء، ومنه كببت الشيء لوجهه اكبُّه كباً، وأكب فلان على الأمر يفعله. والكبكبة: أن يتدهور الشيء إذا أُلقِي في هوة حتى يستقر، فكأنه تردد في الكبَ ، ويقال: جاء متكبكاً في ثيابه، أي: متزملاً ومن ذلك الكبة من الغزل)[76]، فهذه اللفظة بهذا السياق الواردة فيه (كبكبوا) أبلغ من الفعل (كبوا)؛ لما تعطيه المفردة القرآنية من الكب العنيف وشدة العقاب. وجدير بنا أن نقف عند كلام الزمخشري بشأن جمالية هذه الكلمة؛ إذ يقول: (الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى كأنه إذا أُلقِي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها)[77]، وبهذا المعنى تبعد الكلمة عن كونها إشارة اعتباطية (فإن انضمام الشفتين ثلاث مرات في هذه المفردة مره على الكاف لوجود الضم، ومرتين على الباء؛ لأنه حرف شفوي شديد، وهذا الانضمام يصور حركة تكوير الكافر، وهو يتدحرج حتى يصل إلى القعر، ويتجمع جسده كالكرة وكما تتجمع الشفاه في لفظ هذه المفردة)[78]، ويقول سيد قطب: (وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الحروف. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوون هم (وجنود إبليس أجمعون) والجميع جنود إبليس هو تعميم شامل بعد تخصيص)[79]، فهو تصوير دقيق لحركة سقوطهم في النار، فهذه الكبكبة الجماعية أدل على الإهانة وأكثر ملاءمة للمعنى المراد.

---

(74) تفسير أبي السعود المسمى إرسال العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: 251/6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1411هـ- 1990م.

(75) ينظر: التحرير والتنوير: 19-151.

(76) معجم مقاييس اللغة: 124/5.

(77) الكشاف: 322/3.

(78) جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد باسوف: 161، دار المكتبي، دمشق، ط1: 1415-1994م.

(79) في ظلال القرآن: 2605/5.

ومن الألفاظ المفردة في القرآن صيغة ومادة كلمة (ضيزى) الواردة في خطاب المشركين **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)﴾**.(80)

[81]يقول الدكتور المطعني بشأن الخطاب في هذه الآيات الواردة على صورة الاستفهام: (إن الاستفهام الأول (**أفرأيتم**) المراد منه استحضار صورة المستفهم عنه في الذهن ليحكم عليه وهو حاضر ماثل فيه. أما الاستفهام الثاني {**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى**}(81) فهو الإنكار مع التقريع والتوبيخ) (82)، أي: (أتجعلون لله البنات بزعمكم ولكم البنون؟ (**تلك إذًا قسمة ضيزى**)، أي: ظالمه جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضى تفضيل العبد لمخلوق على الخالق) (83)، فموقع جمله {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} تعليل للإنكار والتهكم المفاد من الاستفهام (ألكم الذكر وله الأنثى) أي: قد جرتم في القسمة، وما عدلتم فأنتم أحقاد بالإنكار)(84)، فهذه الفاصلة القرآنية (ضيزى) جاءت متوافقة مع المعنى المراد فـ(ضيز في الحكم، أي: جار، وضازه حقه: يضيزه ضيزاً نقصه وبخسه ومنعه، وضِيزت فلان أضزه وضيزاً: جُرتُ عليه وقسمة ضيزى أي جائرة)(85)، وقد عدَّ ابن الأثير هذه المفردة من الألفاظ الغريبة التي حسنت بحسن موقعها؛ (لأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها، وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تزيد قلنا: إن غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة؛ لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، وسأبين فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ظالمة. لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام). (86)

ونجد الرافعي نظر إلى هذه المفردة نظرة عميقة شاملة تناولتها من جميع جهاتها وغاص في أعماقها في قوله: (وفي القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله

(80) سورة النجم، الآيات من (19) إلى (22).

[81] سورة النجم الآية (21).

(82) التفسير البلاغي للاستفهام: 17/4

(83) تفسير السعدي: 1388

(84) التحرير والتنوير: 27-102

(85) لسان العرب: 5/367-368.

(86) المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: 16/1:، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1411هـ-1990م.

تعالى: ﴿تلك إذا قسمة (ضيزى)، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه. ولو أدرنا اللغة عليها ما صلح لهذا الوضع غيرها، فإن السورة التي هي منها سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسم ضيزى**﴾، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها. وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في المرة الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكَّنت في موضعها من الفصل، ووضعت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذا المدين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية، والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكانت في تأليف حروفها معنى حسيًّا وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس، وإن تعجب فعجب نظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها؛ إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غنتين في (إذن) و(قسمة)، إحداهما خفيفة والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقى، وهذا معنى رابع. أما خامس هذه الكلمات فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها إنما هي أربعة أحرف أيضاً(87)، ففي هذه الكلمة تصوير لبشاعة ما يحكمون به.

الخاتمة:

وفي الختام، فكل لفظ في النص القرآني قد وضع في موضعه المناسب تمامًا كما أراد الله -تعالى- وهذا الترتيب في ذاته سر إعجازي فوق بقية الأسرار، فالقرآن (يتأنَّق أسلوبه في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم كلًّا حيث يؤدي معناها في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها،

(87) بلاغة القرآن في أدب الرافعي، د. فتحي عبد القادر فريد: 222، دار المنار.

وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى بأقوى أداء، لذلك لا تجد في القرآن ترادفًا، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا).(88)

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ((دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن)، د. محمد الأمين الخضري، الطبعة الأولى، 1413هـ- 1993م.
2. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة التاسعة، 1393هـ-1937م.
3. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شريف، نهضة مصر.
4. التحرير والتنوير، الشيخ محمد طاهر بن عاشور، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
5. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد ابن محمد العمادي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ-1990م.
6. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م.
7. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن، مروان سوار، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م.
8. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم المطعني، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة،1420-1999م.
9. التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية والطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421 هـ -2000م.

(88) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: 57، دار النهضة، الفجالة، القاهرة.

11. تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، دمشق 1411 هـ - 1991م.
12. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م.
13. الجامع للأحكام القرآن الكريم، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م.
14. جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف، دار المكتبي، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م.
15. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، الطبعة الثانية .
16. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، القاهرة، مكتبة الأدب، 1994م.
17. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1982م.
18. ديوان النابغة، تحقيق: عباس عبد الستار، ط3، دار الكتب العلمية، هـ-1996م..
19. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1405هـ-1985م.
20. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدامي، نشرته دار إحياء السنة النبوية.
21. فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1416هـ-1996م.
22. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.
23. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 1408هـ -1988م.
24. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأمل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، وطبعة دار المعرفة.
25. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ -1990م.

26. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الموصلي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1411 هـ-1986م.

27. مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م.

28. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

29. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار السلام، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1990م.

30. معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1408-1988م.

31. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، 1411هـ -1991م.

32. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ- 1991م.

33. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

34. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبيد الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م.

35. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دراسة النهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

-المجلات

- مجلة الدراسات العربية (التعبيرية الصوتي في النص القرآني)، د. عبد المنعم سيد، العدد (19)، مج 2، (2009)، جامعة المنيا -، مصر ..

- مجلة الرافد الاماراتية الإماراتية، الشارقة، التشكيل مصطلحاً أدبياً، د. محمد صابر عبيد، العدد: 156 ، 2010م.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات_**المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)** أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال التزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لقسم النشر على الإيميل: (publisher@siats.co.uk)** تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **4000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 ,للغة العربية **(Traditional Arabic)** و **12** للغة الإنجليزية **(Time New Roman)**، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والاستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، **(ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS)**، المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص **باللغة العربية** وآخر **باللغة الإنجليزية**، على ألا تزيد كلمات الملخص على **(150)** كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على **(5) كلمات**، مع ملاحظة اشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 2,3...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على مانسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- **(التوثيق) قائمة المراجع:**

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــــــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلِفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً.

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:
بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد
عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90**
يوماً (3 أشهر) للأخذ بالملاحظات .
ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور
وزخم الأبحاث المُحالة للنشر.

CONTANT